يفترض في النظارة ، وقراء هذه المسرحية ان يكـونوا قد اطلعوا على نشرات جيش التحرير الجزائري ، وكتابات الادباء الفرنسيين الانسانيين ، وكذلك بعـض مشاهـــدات وذكريات المجندين الفرنسيين في الجزائر ... فيما يختص بالحرب الوحشية التي يشنها الاستعمار الفرنسي على الشعب العربي الجزائري ... ذلك ان خلو ذهن المتفرج والقاريء من بعض هذه المعلومات لا يمكنه من متابعة الحوادث الدرامائية في المسرحيـة ...

اشـخاص المسرحية

شخصيات الفرنسيين

الكولونيل اندريه : قائد فرقة المظلات

الكابتن جوزيف : ضابط في فرقة المظلات

الملازم الثاني جاك : ضابط في قلم المخابرات

الاب جولي

السجان فرنسيس : نقيب في الجيش الفرنسي

ثلاثة من صف الضباط : روجيه ، ريمون ، بيير ،

ضباط ، صف ضباط ، جنود

شخصيات مختلفة من المعمّرين .

الشخصيات العربية

ابن حمود : من ضباط جيش التحرير

عجابي : من الثوار

بوعلاق : من الخونة

* * *

[غرفة متوسطة ، في الصدر طاولة عليها بعض الكتب والمجـلات والاوراق المبعثرة ، وسوط مجدول قصير ... خلف الطاولة مباشرة ، وراء مقعد الضابط نافذة مشبكة بقضبان حديدية ، تلوح من خلالها معالم المدينة البعيدة ، بضعة مقاعد موزعة في الغرفة ، الى اليمين عند زاوية المسرح باب حديدي يقود الى غرفة التعذيب .. وفي الزاوية اليمنى نفسها الى صدر المسرح باب يقود الى حجرات داخلية غير مستخدمة.. يدخل القادمون من الخارج ، من اليمين ...]

الفصل الاول

المشهد الاول

[الكابتن جوزيف قاعد وراء الطاولة ، وقد اراح جانب وجهه على مرفقة الايمن المسند الى الطاولة ، مغمض العينين في سنة نوم مفاجئة.. يلوح للمتفرج ـ قبل ان يدقق النظر ـ كانه مستغرق في القراءة ... الغرفة تسبح في ضوء برتقالي غائم ، هو مزيج من طلائع نور الفـجر الاول ، وضوء المصباح الكهربائي المتدلي من السقف والضوء المنبعث من المصباح العاكس الصغير فوق الطاولة ..

ترفع الستارة ، والغرفة على حالها ... ثم يفتح باب غرفة التعذيب الخشبي الغليظ في شبه زاوية على مهل ، ويمرق من خلاله السجان فرنسيس ... يندفع في وقت واحد الى الغرفة صرير الباب الثقيل ، وانات بشرية موجعة .. ريثما يتم للسجان رد الباب ، بنفس التمهل والحيطة ... السجان يلقي نظرة محاذرة نحو الضابط ... ويسير متانيا الى منتصف الغرفة]

السجان فرنسيس ـ (في صوت خافت) .. سيدي الكابتن .... (يرفع صوته عندما لا يتلقى جوابا) سيدي الكابتن [ينوس رأس الكابتن عل مرفقه قليلا ، ثم يعود الى وضعه الاول]

السجان ـ انت نائم يا سيدي الكابتن ... (يقف متحيرا لحظة ثم يهز كتفيه) ... اذا لم اكن واهما فان الرائي يحسبك مستغرقا في القراءة ... هناك فرق ـ بطبيعة الحال ـ .. ولكنك يا سيدي نائم تماما .. وهي (يغمز باحدى عينيه) .. وهي ايضا نائمة ... ولكنها تخرج انات لطيفة ، قصيرة .. من ..؟ او تسالني سيدي الكابتن من.. الضفدعة ... لقد علقتها وهي مكتفة الذراعين والساقين في السقف ، وغمرت قفاها بالماء ، ولكنها لم تتاوه كفاية ، وعند ذلك .. (يتردد) .. اواه يا عزيزتي ماري .. اواه من هذا النعاس الثقيل ... يختلط كل شيء هنا في صدغي .. ولكن النجمتين المعلقتين في محجري ، ساهرتان .. (يلتفت) .. يا سيدي الكابتن ، .. اواه .. هو الفجر .. ساعة الصحو للاخرين ، الم تبلغ الخامسة بعد ؟ واذن ، كل حي سوف يستيقظ في القرية ، ويهرع الى الحقول .. النعاس ، انه يتلفني يا صديقاتي ... هل ترى يغشى الناس في فرنسا هذا النعاس الثقيل الآسر ؟..

[يروح ويجيء في الغرفة ، متبرما ، ملوحا بذراعيه]

السجان ـ ... يا للطش ، يا لهؤلاء الاوغاد الذين يفضلون السجن والتعذيب ، على هجعة الليل ، كيف يقدر لي اذن النوم ، وهم على مثل حالهم من الجنون ، أية صنعة ؟ ... عندما يموت الانسان يصبح منفرا، وتنتهي لحظات الرعب سريعا ، سريعا جدا ، اوه ، ان منظر الموت ليس على هذه الدرجة من البشاعة ، الميت لا ينظر اليك بعينين مدهوشتين مرتعبتين .. [يصحو الكابتن فجأة ، ولكنه يظل على حالته ، متأملا بعينين مسهدتين حركات السجان] الميت ، لماذا المقارنة .؟؟ لماذا ، والاف العيون المختلطة ، المزوجة الوانها واصباغها .. تطاردني في ثواني الليل ... والتوجعات والانات المضغوطة في صدور اصحابها ... ولكن الموت يلقي ظلا من السلام على الوجه ، وتغلق العينان ... وقد تبردان كقطعتي زجاج ... أو .. وه.. يا صديقتي ماري ، يا كل صديقاتي ..

الكابتن جوزيف ـ بماذا تفكر يا فرنسيس ؟

السجان ـ (وقد فوجيء) نعم سيدي الكابتن ؟

الكابتن جوزيف ـ هيا ، بماذا تفكر ؟

السجان ـ عفوا يا سيدي .. لقد اختلط علي الامر .. ان هذه الساعة من الليل شديدة الروع .. انها تسحر العيون المسهدة ..

الكابتن جوزيف (ينحني خلف الطاولة ويصب لنفسه قدحا من القهوة) ماذا في هذه الساعة ؟

السجان ـ (متهربا) لم يتكلم يا سيدي الكابتن ، لم يتكلم ...

الكابتن ـ هذه الساعة يا فرنسيس .. هيا .. لقد تعبت اشدالتعب يا صديقي .

السجان ـ قسما بدم المسيح .. اني اقاوم .. ولكنها لم تتكلم ..

الكابتن ـ من هي يا فرنسيس ..؟

السجان ـ (يشير بذراعه الى غرفة التعذيب)

الكابتن ـ هل حقنتها بالماء ؟

الكابتن ـ نعم يا سيدي .. وقد غمرت قفاها فوق ذلك ..

الكابتن ـ انتظر .. لماذا تقول هي ؟

السجان ـ يا سيدي ... ماذا اقول اذن ؟

الكابتن ـ ماذا تقول ؟ اعتقد ان الساعة شديدة الروع حقا .

السجان ـ اني اقاوم يا سيدي الكابتن ... ولكن هل تسمح لي ؟.

الكابتن ـ لا ريب يا فرنسيس .. ألم ترافقني عبر اللحظات الدقيقة المذهلة ذاتها ؟ ألم نستخدم نفس السوط ، والالة .. ألم نكن معا في اكثر ساعاتنا امتلاء وحيوية ؟؟ انك صديقي يا فرنسيس ، لا يخامرك شك في ذلك ، هيا ... امسح عن عينيك غبرة النوم ولنتحدث ...

فرنسيس ـ ليتني انسى يا سيدي الكابتن ..

الكابتن ـ كيف يا صديقي ؟ كيف ؟

فرنسيس ـ انها تطاردني يا سيدي الكابتن ، انها مرسومة امام عيني المفتوحتين ، المشدودتين ابدا الى اقصاهما .. لست ادري شيئا ما يا سيدي الكابتن ، ولكن ارادة اقوى مني ، تفتح عيني وتجعلهما تسبحان في بحيرة الذعر ...

الكابتن ـ ماذا ؟..

فرنسيس ـ دعني اوضح لك يا سيدي !

الكابتن ـ انتظر يا فرنسيس ... هل تراك اصبحت ترى رؤى ...

فرنسيس ـ اي رؤى يا سيدي ؟ اني ملاحق .. الشيطان نفسه لا يستطيع ان يبرئني ...

الكابتن ـ وقد اصبحت مجدفا ايضا ؟ لماذا الشيطان ؟

فرنسيس ـ انتظر يا سيدي ، ارجوك ... أليس الشيطان هو الذي يحرك يدي ؟؟ ان ارادتي مقهورة ، مندحرة ، ولكن يدي تتلقيان الاوامر ، فتشرعان بالعمل ... ويوقفهما الامر الخارجي ايضا .. كلا يا سيدي الكابتن اني لا احس اشفاقا نحو هؤلاء المتمردين القذرين ، انهم يطعنون سلامة فرنسا ، أليس كذلك ؟

الكابتن ـ بلى يا صديقي ...

فرنسيس ـ واذن ، فاني لا احس اشفاقا نحوهم ... دعهم يثورون .. ان الاتنا قادرة على ان تحمل اليهم الخرس ! اووه .. الخرس ، ولكنهم لا يعيون عن الكلام هنا فحسب يا سيدي الكابتن .. انهم يضربون مواقعنا دائما .. ولكننا سننتصر ... اتشك في ذلك يا سيدي ؟

الكابتن ـ ولماذا اشك ؟ انك ترى النتائج بنفسك !

فرنسيس ـ نعم يا سيدي .. نعم ... ولكن ماذا اريد ان اقول ؟ الشيطان، انتظر يا سيدي الكابتن ، انه هو الذي يصلب عيني ، ويسمرهما على رؤى الذعر ، مرة يا سيدي الكابتن ، مرة واحدة قدر لي ان اخطيء ، كان ذلك فظيعا ، فظيعا جدا ... (يدور بعينيه محيرا في الغرفة)

الكابتن ـ (يصب له فنجانا من القهوة) تجرع هذا يا فرنسيس ... انه يساعدك ...

فرنسيس (يرفض الفنجان) اتظن ذلك ؟ كلا ، ان الخمرة اقوى تأثيرا ولكنها تنشط خيالاتي ، كأنما تضربها بسوط خفي ، فتروح ترقص ، وتترنح ، وتتمدد حتى تنتشر في كل جانب .. على الجدران ، وفي سقف الغرفة ، وفي ارضها ...

الكابتن ـ (معاتبا) انك محظوظ يا فرنسيس ... اوليس جميلا ان تؤنس الخيالات وحدة الرجل على هذه الارض الملعونة ؟ قسما انك لمحظوظ يا فرنسيس !

فرنسيس ـ اني متوحد دائما يا سيدي ، ومع ذلك افضل الموت على انسها ...

الكابتن ـ هيا .. لننس الموضوع يا صديقي ! سوف ينتهي كل شيء وشيكا ، قل لي ما رأيك في اجازة تقضيها هناك ؟..

فرنسيس ـ اين يا سيدي؟

الكابتن ـ اين ؟ اتراك لا تفكر في فرنسا ؟

فرنسيس ـ (مرتاعا) ـ تريد ان احمل معي هذي الرؤى الى هناك؟!. سوف اقضي رعبا يا سيدي ... كلا ! ارجوك ، اني مشدود الى هذه الارض ، ارض الرعب ، اني لا اطيق فراقها لحظة يا سيدي ! صدقني، ارجوك ... ان بي ميلا آسرا الى ان اغرز نظراتي ، الى ان ادفنها في اعماق العيون المستفهمة ، المملوءة حتى حوافيها رعبا ... انها سراب البحيرات يا سيدي الكابتن ! هنا .. هنا فقط اجد نفسي كما انا .. هنا فقط أبحث عن خلاصي من هذا الاسر.. اني مشدود من كل اطرافي، مقضي علي ان اجوس في داخل هذه البلورات المحززة المنقطة ..

الكابتن ـ الا ترى يا فرنسيس اني لا اقاطعك ؟..

فرنسيس ـ حسنا ... حسنا جدا ... شعرت فجأة ان سلكين من النار ، كلا .. بل من الحديد المحمى النوراني يغرزان في صدري ، كانا خارجين من اعماق عينيه الحلوتين الاخاذتين ، هل تعرف يا سيدي الكابتن .. ان الذعر يكسب عيون العرب جمالا رائعا ، اسطوريا ؟ تصبح العينان قطعتين من الفحم المتألق ، المصقول ، الشفاف ، انهما ساحرتان

يا سيدي ، صافيتان ، مجلوتان ، غارقتان ايضا في بساط من الثلج .. وماذا ترى يفعل بهما الذعر؟ ان مثل هذه الاشياء لا يمكن التعبير عنها ، كلا يا سيدي الكابتن ، انهما تعتبان عليك ، تقولان : لماذا ؟.. اواه ، اواه (يغطي وجهه بكفيه ، وهو يختلج)

الكابتن ـ (ينهض بتثاقل ويمشي صوب السجان ، فيربت على كتفه مشجعا) لم يكونا اكثر من عينين عاديتين يا صديقي ! انك تتخيل اشياء كثيرة ، دعني اوضح لك ، لقد تطلعت فيها اكثر من مرة ، كلا ، ليستا باكثر من عيني حيوان جريح ، ومع ذلك نرانا نسلخ جلود الحيوانات بعد ان نذبحها .

فرنسيس ـ (يخرج صوته المختلج من خلال كفه) ماذا تعتبان علي يا سيدي ؟ لماذا تسالانني دائما ، لماذا ؟ لماذا ؟

الكابتن ـ دعهما تتخلصان من هذا التساؤل فورا ...

فرنسيس ـ كيف يا سيدي ؟

الكابتن ـ اجعلهما تنفضان دفعة واحدة كل هذا الرعب ، دعهما تموتان ، دعهما تبردان فورا ..

فرنسيس ـ لقد فعلت يا سيدي ... لقد قتلته في غمرة الرعب...

الكابتن ـ وماذا بعد ؟

فرنسيس ـ انهما لا تمحيان ابدا ، من هنا .. من نقطة ثابتة غائرة في صدغي !

الكابتن ـ ولكن ... سوف تجعلني اغضب ... الم يمت ؟

فرنسيس ـ (يتمالك نفسه) عفوا يا سيدي ! لقد فعل فورا ... (يمضي الى مقعد في ظل من الغرفة ويتهالك عليه)

[ضوء الفجر البرتقالي يغمر الغرفة ، خلال الحديث ، حتى تبهت اضواء الكهرباء ، وتصبح متعبة للنظر ، يتناهى من الخارج اصوات وصدى حركات مختلطة ، وبينما يأخذ الكابتن في التمطي، وتدليك عضلات رجليه، تقترب الاصوات حتى تبلغ اعتاب الغرفة]

الكابتن ـ لقد عادوا ! ان الكولونيل على رأس الحملة بنفسه ، اني لاعجب لماذا هو غاضب الى هذا الحد .. هيا يا فرنسيس ! امسح عن عينيك غبرة النوم ، فقد بدأ النهار ...

فرنسيس ـ (في صوت غائر) انهما ممسوحتان يا سيدي ، هذا هو بلسم النهار ، هل تريد ان نبدأ ؟

الكابتن ـ بل انتظر ، احس كأن كوما جديدا في طريقه الينا ... (يذهب الى النافذة ، ويرتفع على رؤوس اصابعه) نعم ، هناك بعض الحرس ، بعض الثوار ، بعض الجنود ، ولكن اين هو الكولونيل (يفتح الباب الخارجي في تلك اللحظة ، ويندفع من خلاله الكولونيل يتبعه بعض الضباط والجنود والاسرى)

الكولونيل ـ اسعدت صباحا (لفرنسيس) فرنسيس ادخل هؤلاء (يدور خلف الطاولة ، ويرتمي في اعياء على المقعد) لا حاجة لي بكم اذهبوا ، جميعا ... جميعا ...

(يخرج الجميع ، ويظل ضابط برتبة ملازم ثان واقفا عند العتبة)

الكولونيل ـ حسنا ايها الملازم ، انكم تلاحقونني انا لماذا ؟ اثأروا لانفسكم ، دونكم المدن والقرى ، دونكم هذه المخلوقات التي تدب في كل مكان دونما جدوى ، افعلوا شيئا ! شيئا خارقا ، فلا تصدى نفوسكم ... ادري ، ادري، فقد اوقعتم هذه المرة ..

الملازم ـ سيدي الكولونيل ، (ينكس برأسه)

الكولونيل ـ لماذا ؟ هل تعرف لماذا ؟

الملازم ـ كيف يقدر لي يا سيدي ؟

الكولونيل ـ لان عيونكم لا تبصر جيدا ، لانكم تسافون سوفا لانكم تصدقون ما تهمس به ضمائركم خلسة .. قل لي ! اليس من واجبكم ان تتلفوا هذه الثورة ، ان تقتلعوا جذورها ، ان تحذفوا ـ من اجل فرنسا ـ وصمة العار ..

الملازم ـ يا سيدي ...

الكولونيل ـ مهلا ، لقد تبعتكم خطوة خطوة ، وانتم في تخيلكم المزري، ماذا ابقيتم لفرنسا بعد خذلانها ؟ في الهند الصينية ، في سورية ، في مراكش ، في تونس ؟ ماذا ابقيتم لها وانتم تتراجعون ؟..

الملازم ـ يا سيدي الكولونيل ، ان حربنا ..

الكولونيل ـ (يخبط الطاولة) كلا لم تكن هذه حربنا ... نحن هنا مقابل العار تماما ... لقد هزمنا في اوروبا في مواجهة رجال حقيقيين، للدفاع عن قضية حقيقية ولستم ملزمين بتبريرها ، ولكن هذا العبث الضائع هنا ، هذا الموت الثقيل الكثيف ، قل لي اي شيطان يجعلكم تترددون مقابل الوهم ؟ الفاظ .. الفاظ براقة ، مجرد الفاظ ... (يقفز من وراء الطاولة ويمد اصبعه في مواجهته ، محتدا مرتجفا من الغضب) لماذا لا تعترف ؟ ماذا يدور في خلدكم ... « ان هذه الحرب زائفة ، اننا هنا نضطر لاسكات هذا الصوت النير المنبثق من اعماق تجربتنا ، اننا نحارب ، كيما نبعد عن انفسنا رجفة الذهول والدهشة، اننا نقتل قتلا بدل ان نحارب » اليس كذلك ؟.. لقد سمعتكم تفرقون بين الحرب والقتل ، ايكفي ان نقف مسمرا متطلعا في بعينين مخادعتين ، لماذا لا تؤجلون مناقشاتكم الى حين العودة ، وهناك فقط يستطيع واحدكم ان يختال في بزته العسكرية ، مزهوا بتخلصه من الاثم ببراءته ، انتصروا اولا ، ثم لتفتحوا دونما خشية كل هذه الطاقات الصبيانية في داخلكم ، انتصروا اولا ، ثم ناقشوا فيما بعد حقيقة هذا النصر .... (يلتفت الى الكابتن جوزيف) جوزيف ، الا ترى اليهم كيف ينهارون ؟.. (يهم الكابتن بالرد ، فيوقفه باشارة من اصبعه) اوه ... كفى سخرية ! تعلم انه عبث ...

الكابتن جوزيف ـ ان اي شيء هو عبث يا سيدي ...

الكولونيل ـ (يلوح بذراعه يائسا) ادري .. ادري ... (للملازم) الم تكتشف بعد طريقة تذيب فيها الجمر من الغضب ؟ اتريد ان اذكرك؟

الملازم ـ اعلم يا سيدي ... اذكرني بالتخريب في التلاعمة ، عين مليلة ، عين سماره ... ناحية عنابة .. النسلية برش الرصاص في الاحياء الحقيرة ، دفن الاسرى وهم أحياء ؟

الكولونيل ـ لماذا اذن .. وانت تعلم ... (في نغمة ساخرة) كل هذه التجارب ؟..

الملازم ـ اردت ان ...

الكولونيل ـ (في صوت متعب) ليكن .. كما تشاء .. واحدة منها.. اختر واحدة ... (يتثاءب ، ويشير بيده الى الملازم)

الملازم ـ سوف افعل يا سيدي ، يقينا ... (يدور في مكانه ويخرج من باب الانطلاق الى اليمين)

(الكولونيل ـ الكابتن جوزيف)

الكولونيل ـ (يأخذ مقعدا موليا ظهره النظارة ، في مواجهة النافذة) جوزيف ! لقد كنت دائما فظا ... (يرفع يده ليمنعه من الرد) اني اعني، على جنودنا الفتيان ، هؤلاء الجنود ، القادمين من فرنسا ... برؤوسهم الصغيرة المحشوة بالوهم .. انهم يصدقون ـ في هذا العصر فقط ـ ان

في وسع الانسان ان يكون سيدا مستبدا بالاخرين وملتزما جانب الشرف، ومع ذلك فان دماءهم النشيطة الحارة التي تلهب اذهانهم ... تنفجر ينابيعها من صلب هذه الارض ... انهم يعيشون بدم الغير ، انهم يأكلون الحصاد المجموع حبة حبة من هنا .. من هنا يا كابتن ...

الكابتن ـ يا سيدي الكولونيل ، اسمح لي مرة ثانية ان اقول ان الفتيان يتخرجون رجالا اشداء من مدرستك فحسب ، لقد كنت غريرا مثلهم ، ولكن صبرك وبسالتك دفعاني دفعا الى ان اعيد تقييم الاشياء في رأسي ..

الكولونيل ـ (ينقر الارض بطرف حذائه) مدرستي ، نعم ، ولكن فرنسا تنهار .. انهم يبعثون الينا بالمتطفلين ، بتلامذة الفلسفة ، ان اردیتهم مقلوبة مائلة اللون ، الم ترهم كيف يمشون في بزاتهم العسكرية كأنهم مثقلون بالخزي ؟

الكابتن ـ ولكنك سرعان ما تعجم عودهم !

الكولونيل ـ اسمع الى خبط حذائي الرتيب (يتابع خبط الارض بقدمه) ان الثوار يعتمدون على هذه النغمة المكررة ، الصابرة يدقون بها فوق رؤوسنا . اتحسبهم يمتازون بالبسالة ؟.. كلا يا كابتن ! انهم يدركون فوق ما ندرك قوتنا الجاهزة الراجحة .. ولكن المضغوطة بالزمن .. ان بسالتنا موقوتة وكذلك صبرنا وجلدنا على المحنة ، الم تدرك بعد يا كابتن اننا نهزم كل يوم برغم انتصاراتنا ؟ كلما عاشت الثورة دقيقة ، فقدنا نحن عاما ... انها تكتسب مع الدقائق الايمان والجلد وتتطاول فوق سطح المستقبل ، انها تعيش على حساب قسوتنا واجزاء انتصاراتنا، يجب ان يسحق الحق دفعة واحدة ، انك اذا كسرت مرآة جزءا جزءا ، فسوف تظل بقاياها السليمة ، تعكس الخيالات والشخوص كما هي ، هشمها يا كابتن ! هشمها مرة واحدة (يتردد لحظات ثم يحدق الى الكابتن) اتريد ان نجري تجربة صغيرة يا كابتن ؟ ادع فرنسيس !

الكابتن ـ (يمضي الى باب غرفة التعذيب ويقرعه ، مناديا فرنسيس ـ يخرج هذا على الفور)

الكولونيل ـ فرنسيس .. اخرج واحدا من الوطنيين .. ثم دعه يفضي الينا بشيء.!

السجان ـ ماذا يا سيدي الكولونيل ؟

الكولونيل ـ اي شيء .. امامي .. هنا ...

السجان ـ (متلبثا في مكانه) اي واحد يا سيدي ؟

الكولونيل ـ اي واحد ، افتح الباب ودع اقربهم اليك يأتي هنا .

السجان ـ (ينفذ الامر بآلية ، يسوق امامه الى منتصف الغرفة ، قرويا في ثياب رثة ، معتمر الرأس ، يقف هذا مرتبكا ، ضاما قبضيته في وضع تشنجي)

الكولونيل ـ اجعله يتكلم !

السجان ـ (يقف الى جانب ، ويهز القروي من ردن كمه) انت ، قل شيئا ...

القروي ـ (يلتفت ويتطلع الى فرنسيس بعينين مندهشتين ، دون ان يحير كلاما)

السجان (بآلية) اوه ... تحملق في هذا ـ (يشيح بوجهه)

الكولونيل ـ (يوالي نقر الارض بكعب حذائه)

الكابتن (مغضبا) ـ فرنسيس !

فرنسيس ـ نعم سيدي .. (منتبها) .. (للعربي) ايها الرجل ، تكلم شيئا هيا !..

القروي ـ (يدير نظراته المندهشة ، المحيرة في وجوه المحققين الثلاثة صامتا) ـ

فرنسيس ـ ما اسمك ؟

القروي ـ ...

فرنسيس ـ اسمك ... الا ترى ان حضرة الكولونيل يريد ان تقول له اسمك ؟

القروي ـ (يهز رأسه) اسمي .. عجابي..

فرنسيس ـ ماذا تعمل ؟

عجابي ـ كنت وراء المحراث ، ثم جاءوا بي الى هنا ...

الكابتن ـ انت وطني اذن ؟

عجابي ـ كنت وراء المحراث ..

الكابتن ـ الم تكن في محل اخر ؟ وراء البندقية مثلا ؟

عجابي ـ كنت وراء المحراث ..

الكابتن ـ اسمع يا عجابي ... انت لا شأن لك بالثوار .. كلنا يعلم ذلك .. الم تلاحظ داخل الغرفة هناك شيئا ؟ (يشير الى غرفة التعذيب)

عجابي ـ (يهز رأسه)

الكابتن ـ انك لم تكن وراء المحراث اذن ... لم تكن هناك دائما ... اليس كذلك ؟

عجابي ـ ...

الكابتن ـ تعلم يقينا يا عجابي .. اننا نستطيع ان نجعلك تتكلم .. لماذا لا تبدأ اذن فنعيدك الى .. الى ما وراء المحراث فورا ؟ (يغمز له بعينه) ... ربما .. ربما جعلنا منك شيئا اخر ..

عجابي ـ (بلهجة قاطعة) لقد كنت وراء المحراث ..

الكابتن ـ (منفجرا) ايها الحيوان (يصفعه على وجهه) سوف تتذكر بعد قليل انك كنت في مكان اخر !!

الكولونيل ـ (يوالي نقر الارض بحذائه) ..

الكابتن ـ انزع عنه هذه الاطمار (يمضي الى الطاولة ، ويأتي بالسوط) انظر الى هذا الجلد في يدي ، سوف يداعب لحمك يا عجابي ، سوف يرسم عليه خطوطا زرقاء محمرة قليلا ، لن تتحدث اذن ... سوف يوجه اليك الجلد سؤالا كل ثلاثة خطوط ، هيا .. اتريد ان نبدأ ؟.

« مجموعات » الآداب

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الست الاولى من الآداب تباع كما يلي

		مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٩٥ل.ل	١٠٠ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «
« « الرابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الخامسة	٢٥ «	٣٠ «
« « السادسة	٢٥ «	٣٠ «

عجابي ـ (يطبق فمه بشدة حتى تبرز عظام فكيه ، ويخفض نظره الى الارض)

الكابتن ـ انظر يا سيدي ، كيف يستعد للضرب ! انظر الى فكيه المتصلبين ، ومع ذلك سوف يرتخيان قليلا يا عجابي، ولدينا يا صديقي وسائل اخرى .. هيا (يشرع في ضرب الرجل على وجهه وصدره وذراعيه وظهره ، موقعا كل ثلاث لسعات متوالية) اما زلت وراء المحراث يا عجابي ؟ ... وراء المحراث يا عجابي ؟

عجابي ـ (يتجمع حول نفسه ، متكورا ، ثم يصالب ذراعيه ، ويرفع رأسه الى اعلى ، وقسمات وجهه تنتفض في تقلصات متوافقة مع كل لسعة)

الكابتن ـ (يهتاج ، فيسارع الضرب) تكلم يا عجابي ، ايها الصديق.. ان لحمك يهتريء تحت لذعة الجلد ، لقد حفرنا خطوطا مقلمة على ظهرك وجنبك .. وسوف نصالبها الان ، دورة اخرى ، دورة اخرى ايها الصديق .. (ينهار القروي فجأة بكل جسمه على الارض ، مثل عمود هدم من قاعدته) ارفعه يا فرنسيس هيا ! بل جرده من ثيابه التحتية . هكذا ، اسرع يا فرنسيس ! اسرع يا فرنسيس (يأكل الضابط سعار وحشي من القسوة فيروح يضرب الارض بقدمه ويوقع بالسوط عليها).

فرنسيس ـ (يرفع الرجل العاري .. الذي يحجب جسم الكولونيل نصفه الادنى عن النظارة) .. هذا هو يا سيدي ، هذا هو !

الكابتن ـ اطلقه (ينهال بالضرب عليه ثانية) تماسك قليلا ايها الصديق، لقد ظل اجدادك مصلوبين وراء المحراث ، في لهب الشمس قرونا خلف قرون ، ارني قوة احتمالك يا عجابي ، لقد خلقت لتلعب هذا الدور ، ولكنك استبدلت المحراث بالبندقية ، انهم يعلمونك اشياء خطيرة يا عجابي! اشياء ليست في صالحك ! يقينا انهم يريدون ان يصنعوا منك رجلا ، رجلا سيدا ايها الصديق ! تجلد دورة اخرى ! هل تلذعك هذه الضربات ها.. ها.. ها.. انها تقرصك فحسب ! اسمك عجابي ! وبعد ذلك لا تعرف شيئا ... ماذا يجدينا ان نعرف اسمك يا عجابي ... انك رقم عادي.. مجرد رقم .. ولكن ما اصعب نطق اسمائكم !. نريد ان نتعرف عليك بشكل افضل يا عجابي ... نريد ان نخرج من تحت جلدك المسروق الملاط الشيطاني الذي رصفوه لك رصفا ، نريد ان نحررك يا عجابي من الاوهام ، انها تبهظ كتف فتياننا المثقفين ! فلماذا تريد ان تحذو حذوهم ايها الصديق ؟ (يلهث من التعب) لقد حمي الجلد . والان (بطلق صرخة وحشية غاضبة) هنا .. هنا .. هنا ..

يطلق القروي صرخة حيوانية موجعة ، مرتعبة ، وينقض بنصف جسده الاعلى الى امام ليحمي موضع الضرب الحساس على اعضائه التناسلية .. وتجمد الصرخة البشرية الوجيعة ذراع الضابط ، فيكف عن الضرب ، ويتاوى الرجل مرات وبدور في مكانه ، مختلجا ، معانيا افدح الالم ، ثم ينهار كله

الكولونيل ـ (يسارع نقرات كعبه على الارض ، ويدفع رأسه الى الخلف في حركة تنهد عميقة ، محبوسة ، ثم يعود الى وضعه الاول)

الكابتن ـ اطلقه ، اطلقه يا فرنسيس !

فرنسيس ـ (يهز الرجل عبثا ، ويهرع الى غرفة التعذيب ، فيأتي بدلو من الماء يصبه دفعة واحدة على رأس الضحية) لن يقف ثانية يا سيدي على قدميه ، لقد اوجعته ...

الكابتن ـ (محتدا ، مهتاجا) انه يقف .. محاولة ثانية ... هيا ... اطلقه !.

فرنسيس ـ (يحمل الرجل من تحت ابطيه ويرفعه في مواجهة الكابتن) لقد سقطت ساقاه يا سيدي ، انظر ، انهما رخوتان ، لينتان ... قف يا عجابي ! بحق المسيح لماذا لا تقف ؟ (يخضه وهو محمول على ذراعيه) كلا ...

عجابي ـ (يهز رأسه في محاولة يائسه الى الشمال والى اليمين لاستعادة وعيه ، ثم يثبت رأسه لحظة ، ويتطلع بعينين محمرتين ، زائغتين نحو الضابط ، ويردد في صوت واهن ميت) يا سيدي .. يا سيدي... اني اخجل من وقوفي عاريا امامكم ! ... (يسقط بكل ثقله الى الارض ، جارا معه السجان)

الكولونيل ـ كفى ! (في صوت بعيد ، هادىء جدا) اسحبه يا فرنسيس !.. (يجر السجان الرجل من ذراعيه ، وهو مستلق على ظهره الى غرفة التعذيب ، ثم يختفيان معا)

الكولونيل ـ (يلقي برأسه الى امام ، كمن يحاول النوم)... اتريد أيها الصديق جوزيف تجربة اخيرة ؟ ادخل الى هناك ... (بشير بذراعه الى غرفة التعذيب) ان الضجة تثيرني الان ، افعل ذلك في الداخل ... (ينقر الارض) ان رجلي تقرع الارض في رتابة مؤثرة ... اسمع ايها الصديق ! ان امامكم طريقين : اما ان تفرغ اعصابكم من شحناتها فتتحرك اذرعكم بفعل العادة ، واما ان تسقطوا في اليأس .!! كلمة اخرى ايها العزيز ... كلمة صغيرة اخرى ... انكم تمنون بالهزيمة .. ويلحق بكم العار ، لانكم تعذبون بطريقة بشرية .. هل انتبهت الى حركة ذراعك ايها الصديق ؟ لا تكرر ذلك مرة اخرى ، وتستمر على القول بانك تخرجت من مدرستي ؟؟ انكم لا تحسنون التعذيب .. انكم ـ دعني اصارحك انت بخاصة ايها العزيز جوزيف ـ انكم تعذبون بقلب مثقل بالخطيئة ، انكم تعذبون بقلب بشري (يلوح بذراعه في تثاقل) الان ، دعني اهدأ قليلا ... اني مثقل بالتعب كعلبة ملآنة (يسقط رأسه الى امام ويروح في اغفاءة)

الكابتن جوزيف ـ (يعض على شفته محنقا ... وتنقضي فترة وهو واقف في منتصف الغرفة صامتا محيرا ، فجأة يضرب رجله بالسوط ، ويدور على عقبيه ، متجها الى غرفة التعذيب ، ويسدل ستار المشهد الاول)

* * *

المشهد الثاني

[الحجرة نفسها ، الوقت عصرا ، روجيه ، ريمون ، بيير موزعون في اطراف الغرفة وقد حلوا ازرار ستراتهم تخلصا من وقدة الحر اللاهبة ، السجان قاعد على كرسي واطيء جنب غرفة التعذيب مستندا بظهره الى الجدار ، ناعس مهموم ، شبه نائم]

صف الضابط بيير ـ ماذا عنك ايها العزيز روجيه ؟

« « ريمون ـ دعه ... لقد ورد اخيرا بريد فرنسا ..

« « بيير ـ وماذا في ذلك ؟..

« « ريمون ـ ماذا ؟ يا للحماقة !... انظر قليلا سحنته المقلوبة الغائمة .

صف الضابط بيير ـ ها انذا افعل ! انه يبدو لي طبيعيا ...

« « ريمون ـ اليك نظراته الموغلة في الفراغ ، المهمومة ، المتسائلة دائما عن السبب ، اين هو السبب يا روجيه ؟.. لماذا لا توجه سؤالك الى الكولونيل ؟ بل لماذا لا تجعله على شكل كتاب في صدر احدى صحفنا يتوجه عنوان شيق مبتكر على طريقة كتابنا الشباب ؟ كان

يكون هكذا ... « اين هو السبب يا كولونيل ؟ »

صف الضابط روجيه ـ انت لا تتساءل اذن ؟

ريمون ـ على العكس يا صديقي ... اليس لي رأس مركب فوق جذعي ؟ واذن علي ان اتساءل !

روجيه ـ انهم على الاقل ـ لا يطرحون عليك من فرنسا هذا السؤال !

بيير ـ ماذا تراهم يقولون يا روجيه ؟

روجيه ـ (ينظر اليه في حنق) لا شيء ، في الحقيقة لا شيء ... انكم تتسلون بمطاردة الموت ...

بيير ـ صدقني ايها العزيز ، اني لا اعلم .. لقد انقطعت عن كتابة الرسائل منذ زمن ، ساقص عليك الحادثة ...

روجيه ـ لا ، لا اريد ان اسمع ، انكما معا متحجران ... مفرغان من هذا القلق .. ماذا ترى يسميه الكولونيل .. هذا القلق السخيف ، الصبياني ؟ (مقلدا الكولونيل) انتم يا تلامذة الفلسفة ...

بيير ـ اسمع ايها العزيز ، كنت عائدا من غارة ..

روجيه ـ وما الفرق بين ان تكون عائدا من غارة او ذاهبا اليها ؟ صدقني القول !.. انكم تتحدثون عن هذه الاشياء المرعبة بسهولة ، الا ندركون شيئا ؟ انهذه السهولة ..

ريمون ـ (متطلعا صوبه في تحد) هذه السهولة ..

روجيه ـ (غاضبا) نعم .. انه يشبه حديث المائدة ، وحديث السهرة، ولكنه لا يشبه في شيء حديث المغامرة ، هل تعلم الان الفرق ؟.

ريمون ـ كلا ...

روجيه ـ لماذا لا تعلم ، لماذا ؟

بيير ـ وما الفائدة منغضبكما ؟ ما الفائدة في ان تعلم الفرق ، او تنكره؟

روجيه ـ لاني لا اطيق ان يجترح الانسان الاثم وينكره ... ان معرفته تربطنا بانفسنا ، تربطنا بهذا الجلد الادمي ..

ريمون ـ اني اجر جلدي ، وحدي (الى الحرب ، الى المتعة معا ... ولست راغبا بعد ان ادخل فيه ليقودني هو ...

روجيه ـ اي جلد ؟ لم يعد من شيء حقيقي ملكنا ، الا هذه ، الا هذه ..

ريمون ـ وماذا يهم . من هذه .. ارجوك الا تغضب !.

روجيه ـ (في يأس) هذه الحرب .. انها هي دائما .. هي التي تهبط كتفي .. التي اسمعها تتنقل عادية على شفاهكم ... التي تتناولونها مع الشراب ، وتحلمون من خلالها بالعودة ... انها هي التي تبرئكم في نظر انفسكم .. انها هي الحرب ذاتها ... حرب السجانين ، والجلادين .. الشيء الذي لا اسم له والذي تسمونه بالاف الاسماء.. الشيء الساحر الذي يأتيكم بالمجد والشرف .. هي نفسها التي تحشرنا داخل جلودنا ... وتفتح ابصارنا على الرعب .. انها الخطيئة والفضيلة .. انها بعبارة واحدة .. الضياع ... (يفك الازرار الباقية من سترته ، ثم ينهض مغضبا ويمسح العرق المتعقد على جبينه بباطن كفه) نعم ايها العزيز ريمون ، انه بريد فرنسا ، الذي يسقط علينا كأنه آت من ارض اسطورية ، انظر كيف يفكر الناس هناك (يخرج من جيب سترته رسالة مطوية ، يفضها ويدور باصبعه على مقطع معين) هذا هو .. انظر كيف يفكرون هناك ! انها جانيت ... فقد كنا موشكين على الزواج عندما ورد الامر بسوقي .. لا يهم .. جانيت

بيير ـ (محاولا ان يسترضيه) اهدأ يا روجيه ، بحق المسيح !..

روجيه ـ ولماذا، سيان؟ اتظنني مختلفا عن الاخرين ؟ ان هذه انتفاضتي الاخيرة لقد رأيت ـ دون ريب ـ حشرة مداسة مسحوقة ، مقلوبة على ظهرها ، تهز ـ قبل ان تيبس ـ ارجلها الصغيرة المتألمة في الفضاء، ماذا ترى يعلق بها ؟ انها تبحث عن مستند ، عن ارض ثابتة ، ولكن ارجلها ترقص دائما في الفضاء ، نعم .. نعم .. ان هذه الارض ذاتها ليست حقيقية ، اننا ندوس على سطح مائع الى غير ما درب ، ولهذا فاننا لن نصل ابدا الىمكان ما .. اننا مثل هذه الحشرة ...

بيير ـ (محذرا) ارجوك يا روجيه ، ان هذا شيء خطر ...

روجيه ـ خطر ..!! وفي صحبتكما ..

بيير ـ (يشير الى الحجرات الداخلية الى اليمين) ان احدا ما هنا دائما ...

روجيه ـ يقينا !.. انهم لا يرعبونني ، فقد فقدت احساسي بالارتياع..

ريمون ـ دعه ينفض هذا الذي في نفسه ... (ساخرا) ان هذا الحر اللعين يبرد حتى الخيانة ، بل حتى الجنون ...

روجيه ـ هل اقرأ لكم ؟

ريمون ـ حسنا ....

روجيه ـ (يقرأ من الرسالة) «انهم يتحدثون عن حربكم كأنها تجري في ارض غير بشرية ، يتحدثون ايها العزيز عن الرعب ، والوحشية ، والحيوانية ، والقتل ، والخراب ، ان كتابات الطليعة من شبابنا تدفعنا الى ان نحلم احلاما فظيعة ، غير انسانية انهم يثيرون غيظنا واكثر من ذلك ، حرصنا المهدد على ان نعيش حياتنا اليومية ، بكل فضائلها ... لقد بت اخشى تجربتك في الحرب اخشى ان تعود ممتلئا لا بالرغبة في .. وانما بالعجب مني، كيف تكون الارض التي تحاربون فيها غير بشرية اذن ؟ انكم تقاتلون ، ولكن الكتاب يصورون المسألة على خلاف ذلك، انهم يقولون : تقتلون ، تسلخون جلود الرجال ... روجيه يا عزيزي ، لتفكر في دائما ، ان رسائلك تطفح بالغرابة ، والدهشة ، والتمزق ، ان كلماتها مرعبة ، بل هي جديدة علي ، كأن كلماتها منتقاة من معجم ... »

(يتوقف ، ويتطلع في حرقة الى صديقيه)

ريمون ـ (في مدة) معجم ..

روجيه ـ (يهز رأسه آسفا) نعم ، معجم .. هل رأيت مثل هذا ؟

بيير ـ لماذا بحق المسيح ، لماذا معجم اللغة ؟.. اتراك اصبحت مصابا بهذه اللعنة اخيرا ...

روجيه ـ انها تقول معجم اللغة ...

بيير ـ انت تقرأ بصورة سليمة اليس كذلك ؟

روجيه ـ ... ياه .. باه ... ان الكلمات التي نستعملها غير مفهومة هناك ، منسية ، مهملة .. لا محل لها ..

بيير ـ ان فرنسا تبعد عنا .. تصبح بعيدة ، (منهولا) بعيدة ..

روجيه ـ وكالارض القفر ...

فرنسيس ـ (في استحياء) ... استميحك العذر يا سيدي. يخيل الي ان الشقة تتسع فيما بيننا هنا، وبينهم.. اعني اننا نفترق ... نعم يا سيدي ، ان مادي خطيبتي تقول لي مثل هذا ... (يكرر العبارة) اتريد ان تشرح لي يا سيدي ؟.

روجيه ـ (لا يعيره انتباها) ولكن لماذا لا تقرآن هذا بنفسيكما ؟ (يمد لهما الرسالة) .. كلا .. ليس هناك من شيء يبعث في الخجل وحدي، انها تعنيكما بنفس القدر ، انها تخاطبكما انتما الاثنين ، وهو والاخرين جميعا .. حتى العرب ..

ريمون ـ كلا .. لا اريد ...

بيير ـ (مترددا) حسنا ... ولماذا اريد انا بالذات ؟ كلا ، لقد قطعت ما بيني وبينهم .. كنت موشكا ان احدثك بمثل هذا ... والان ، انـي اكتفي ...

روجيه ـ هل تخجلان منها ؟ انها نفس الاسئلة التي تطرح هنا ..

بيير ـ اوه ... نعم .. ولكن الامر يختلف ..

روجيه ـ كيف بحق المسيح ؟ ان شيئا ما يدق في صدغي ، انكمـا مسؤولان عن التبرير ، انكما صديقاي الوحيدان هنا ..

بيير ـ اني اجر جلدي خلفي ، الم تقل كذلك يا ريمون ؟ نعم ، اني ارهقه ، اعذبه بالتعب والخمر ، والسهر ، والاغتصاب ايضا ، الا تعلم ان اغتصاب امرأة يؤذي الجسد بقدر ما يؤذي ... (يتوقف) مـــاذا تسمون تلـك ؟ ...

ريمون ـ (في اعياء)الروح ..

بيير ـ حسنا ... بقدر ما يؤذيها ، واني بسبب ذلك اجر جسدي الى النوم جرا ؟ وهكذا ..

روجيه ـ وهكذا ؟؟

بيير ـ (يلوح بذراعه) وهكذا ينتهي كل شيء..

روجيه ـ يوميا ؟!

بيير ـ (في يأس) يوميـا ...

[تمضي فترة صمت قصيرة]

ريمون ـ لنخرج من هنا ...

بيير ـ كيف ؟ سوف نرى ما يكلفوننا به ...

ريمون ـ الم ننتظر كفاية ؟..

بيير ـ اني مشوق الى ان اعلم السبب الذي حدا بهم لاختيارنا ، نحن بالذات ...

ريمون ـ اية مهمة ! اني اكره هذا المكان ... (يلتفت الى السجان) ايها الجندي .. ماذا تسمي هذه الغرفة ؟ (يشير الى غرفة التعذيب)

فرنسيس ـ (مفاجا) هذه ...

ريمون ـ هي ... هي نفسها ...

السجان ـ اوه ، لست ادري يا سيدي ... على وجه التحديد ..

ريمون ـ لماذا .. « على وجه التحديد » ؟

السجان ـ انها تسمى باشياء مختلفة ، وهم يذكرونها ايماء احيانا ...

ريمون ـ ـ اتعني انه لا اسم لها ؟

السجان ـ (متخلصا) هو كذلك يا سيدي ... لا اسم لها ...

ريمون ـ ماذا يجري في الداخل اذن ؟ هل هي فارغة ؟ هل يعدونها لتصبح مكتبا ؟

السجان ـ (يغمز بعينيه) على العكس يا سيدي ، انها ملآنة حتـى الطفح ...

ريمون ـ ملآنـه

السجان ـ نعم ...

ريمون ـ بماذا ؟.

السجان ـ (يغمز بعينه ثانية) اشياء كثيرة يا سيدي ...

ريمون ـ لماذا تغمز لي بعينيك ؟ هل انت مصاب بالرعشة ؟

السجان ـ انا ... اوه .. كلا يا سيدي ، اريد ان اقول ان الآلات هنـا ...

ريمون ـ (نافذ الصبر) هيا .. تكلم بسرعة ... اية الات ؟.

السجان ـ اتسخر مني يا سيدي ؟

ريمون ـ ولماذا بحق الشيطان ؟ لماذا تظن اني أسخر ؟

السجان ـ (محيرا) لانها معروفة تماما من قبل ضباطنا وجنودنـا ، بل ان رسمها الخارجي ينزل الهلع في قلوب العرب ، رسمها فحسب ..

ريمون ـ ان اشياء تجري هناك اذن ..

السجان ـ (مؤمنا) انه كذلك .. اشياء يا سيدي ...

ريمون ـ هل انت حارسها ؟

السجان ـ حارسها ... (مترددا) نعم ...

بيير ـ أيشركونك فيما يدور هناك ؟

السجان ـ (حزينا) .. ليتهم يشركوني فحسب ... اني طاف على سطحها ، اني عوامتها ، اني جرس الانذار ..

بيير ـ الست مشغوفا بمهنتك ؟

السجان ـ مشغوف ؟ .. لم لا ؟ اني مشغوف بها ..

بيير ـ ولكنك ـ كما الاحظ ـ تكاد تقضي ضجرا ...

السجان ـ (ينزعج لالحاح الضابط) انك جديد هنا يا سيدي ، سوف تدرك بنفسك اني لا شيء .. لا شيء تماما ، لقد نسيت كيف أحـدث الاخرين عن احوالي اني اغسلها يوميا ، وهكذا فهي موجودة وغيـــر حقيقية في وقت واحد ... عندما يدق جرس الانذار ، تصوب عشرات الوجوه اعينها الفجة ، الجافة ، الى وجهي ، ثم الى يدي ، ان وجهي طري يا سيدي ، ما ذنبي ؟ اتظن ان ذلك خطئي ، جرس الانذار ، لقـد التقطت اذني هذا النداء مرة ، مفاجاة من داخل الغرفة .. واذن ، فانا جرس الانذار ، عندما ادخل تدور الالات ، وتتوقف بخروجي .. ان وجهي طري تماما ، وهو يعكس برغمي ـ انفعالاتي ـ ... (يغمز بعينيه،

من منشورات دار الآداب

دواوين الشاعر الكبير نزار قباني

انـت لـي

سـامبا

طفولة نهـد

قصائد نزار قباني

في طباعة انيقة مترفة ستكون زينة لكل مكتبة

ويشرع في التمثيل ، في حين يلاحقه الضباط الثلاثة بنظراتهم المؤنسة، المشجعة) كثيرا ما ازور مكانا ما في المدينة ... انتم تقدرون حاجة الرجل انكم شباب ، كالزهرات المتفتحة هذا الصباح بالذات ... ومن اجل ذلك تقدرون حاجات الرجل ... الا تحتاجون بدوركم الى الشممس ، والى الهواء ، والى الحرية ؟ واذن ، ان المرأة تعطيني الحرية ، هنا يختلف الامر ، لست ادري ربما كان الوضع نفسه في الحالتين ، لقد كانت تستعبد في هذه العاطفة ، ولكني اتحرر الان في حضن المرأة ، ولسوف تقدر ماري كل شيء وتغفر لي في النهاية ... ان ماريعطوفة، لقد خطبنا منذ سنتين ، وها اننا ملتصق هنا بهذه الارض التي تفح اسى ...

بيير ـ (مؤكدا) انها عطوفة ، دون ريب ... اليس كذلك يا ريمون ؟ قل له ، شجعه مرة ..

ريمون ـ عطوفة ، يقينا هي كذلك...

السجان ـ ارجوكما ... ارجوكما معا ، لاتسألاني شيئا ، ان الاسئلة تحرجني ، تدوخني تماما ...

بيير ـ لماذا تدوخك الاسئلة ايها الصديق ؟

السجان ـ الم اقل لك .. انك تعود الى نفس الموضوع ، كل الاسئلة تعود الى النتيجة الواحدة ، كل الاسئلة تنتهي بهذه الكلمة ... لماذا ؟ سواء نظرات العيون المدهوشة ... والكلمات التي تتنقل بين الناس .. لماذا ؟ .. انها محيرة مكوربة ... كل شيء ينطق هنا .. بهذه الـ((لماذا)) .. عندما ازور مكانا ما .. فتاة هي صديقتي في المدينة ، ادلف على مهل ، واتوسل اليها ان تكف عن مطاردتي .. ولكنها لا تطاردني... ان عينيها الحلوتين العسليتين تمتلئان بالحنان من اجلي ، من اجل وحدي، فتحررني ، موقتا فقط ، وعندما نتمدد معا ، وتتشابك اذرعنا ، اعانق الرعب نفسه ، تعود الى ما بين يدي الالات .. وتأسرني ، اقول لها : دعيني امسك ذراعك يا صديقتي اللطيفة ، دعيني اتعلق بشيء ما فيك، ولكنها تجيبني .. انك تمسك بذراعي ..!! واتساءل يا سيدي ... هل هذه ذراعها حقيقة ؟ تخال لي باردة ، متحجرة ، ولكن طيعة ومألوفة ايضا ان هذه الحالات نادرة يا سيدتي.. ولكنها تطبع وجهي بالنفور ، والرغبة في الانفصال ، عن العالم ، وعنها ، وعن كل شيء ، ماذا افعل اذن ؟.. اتكون خطيئتي اذا لم يقدر لي غسله ، ان جرس الانذار يصبح في نظر المأسورين هنا ، ذا وقع مريع ، وكذلك يداي ، فهما مرتبطتان في صميمية مع الالات ... مشتبكتان معها ، صديقتان ، وهما ايضا ليستا صديقتين معي انا نفسي ...

روجيه ـ (كأن صوته خارج من حفرة) من فعل بك هذا ؟.. من فعل بك هذا ؟..

السجان ـ (يرتعد وهو يحكي وينظر الى يديه ، ويمسحهما على صدره وبين حين وآخر) ان تلك الصديقة الانيسة ، التي تنظر صوبي بحنان ، الحنان نادر يا سيدي ، انه يشبه النوم ، ان تلك الصديقة الحنونة تحررني ، فيما عدا ساعات الاشتباك ، انها تأخذني اليها ، تبتلعني تماما ، كما لو ان جسمي يغرق في الماء ، الماء يدخل فيه ، ويجعله ثقيلا ، ثقيلا جدا ، ولكنه فارغ مني ، انا نفسي ،

روجيه ـ (في عطف) تروح في النسيان ؟..

السجان ـ (بآلية) النسيان ... نعم ..

ريمون ـ وبعد ايها الصديق ، كل هذا بسببها ؟... (يشير الى غرفة التعذيب)

السجان ـ (بآلية) بسببها ، بسببها .. (ينتبه) ولكن من هي ياسيدي ؟...

(خلال الحديث تقترب اصوات من الخارج ، يشرع الرجال الثلاثة في الاستعداد ، يومىء ريمون الى السجان بان يلتزم الصمت .

فترة يدخل بعدها من يمين المسرح ، الملازم الثاني جاك ، وضابطان اخران برتبة ملازم ، وصف ضابط ، يدخلون في هرج وامارات الغبطة والانشراح تلوح على محياهم ، يسترعي الانتباه بشكل خاص الملازم جاك ، القصير ، البدين ، ذو الرأس الاصلع الا من شعيرات شائبة منسقة على جانبي رأسه ، يلوح نشيطا ، خفيفا ، مرحا ، قليلا مايواجه احدا بنظراته الجانبية الخبيثة ، التي ترسلها عيناه الضيقتان ، المتمعتان وبالجملة فان مظهره ينبىء عن مهمته بصدق وامانة ، موظف عتيق في قلم المخابرات ، يستدل بسرعة على ان الجمع قد تجرع قدرا طيبا من المسكر ..

جاك ـ (وهم يدخلون ، ودون ان يوجه كلامه الى واحد بالذات) كنت قد حملت معك تذكارا ...

الضابط الاول ـ (ضاحكا ، غامزا بعينه) اي تذكار ؟

جاك ـ ولكن ..

الضابط الثاني ـ لقد انبأته ياسيدي بنص الامر ...

جاك ـ (متمهلا) لم يرتدع ، (يحيي الرجال الثلاثة)

الضابط الثالث ـ حتى انتن ياسيدي ...

جاك ـ من ... هو .. .

الضابط الاول ـ اوه ، التذكار طبعا ، انتن في جيبي ، ولكني اتساءل عما اذا كان في الوسع تحنيطه ؟

جاك ـ (صافقا بيديه) ... او تحنط اذنا بشرية ؟

الضابط الاول ـ (يقف ممثلا في منتصف الحجرة) ، اسمع ياسيدي لقد انحنيت فوقه حتى لامست شفتاي اذنه .

جاك ـ انها دعابة ، دعابة كما قلت ...

الضابط الاول ـ بل انتظر قليلا ، لقد انحنيت اذن ، وهمست من خلال اذنه ، « هل جربت مرة ايها الفتى ، ان تلتقط الاصوات الخارجية بدون اذن ، ... اعني من خلال الفتحة الدائرية فحسب ؟. » ثم اضفت.. هل تظنه كان مرتبكا ،... اوه ، ... كلا .. كان يحدق في السماء ويوسع ـ الى اقصى مايستطيع ـ فتحة عينيه ، محاولا التصامم ..

الضابط الثاني ـ هيا ، ماذا اضفت ، لماذا لاتقل ؟. .

الضابط الاول ـ صبرا ، صبرا، اني سكران قليلا ...

الضابط الثالث ـ لقد ابتلعت في جوفي قدرا معادلا ... قل ، ماذا اضفت ؟

الضابط الاول ـ صبرا .. .دعني اوضح لك ...

الضابط الثاني ـ لاتصدقه ياسيدي اذن ، لقد اوقعت به ، كان ممسكا اذن الفتى وفي يده السكين ...

الضابط الثالث ـ وعند ذلك .. قطعها .. .

الضابط الاول ـ لا يهم، لا يهم ذلك شيئا.كنت منحنيا فوقه،وقدهمست في مودة في قلب اذنه تماما .. « انك لم تجرب يوما سماع الاصوات الخارجية ، بدون هذا الصفق اللحمي ، هيا ، جرب مرة ، ستخال الاصوات حادة ، مصفرة ، واخزة نوعا ، ذلك انها لن ترتطم بشيء وهي في طريقها الى اذنك ، جرب مرة ايها ... وعند ذلك فقط ستسعى خلفي ، لانتزع لك اخرى » ...

الضابط الثالث ـ لم تقل كل هذا . .فقد استغرقت لحظة فقط ؟

الضابط الاول ـ وماذا يهم ؟ ها انذا اقوله الان !..

الضابط الثاني ـ ولماذا لايهم ؟

الضابط الاول ـ اي شيء ..؟

جاك ـ هيه ... اسمعوا الان ... لنر مايفعل هؤلاء الفتيان !

(يتقدم الضباط الثلاثة باسمائهم)

جاك ـ انت روجيه ... .

روجيه ـ نعم ياسيدي .. .

الضابط الاول ـ انظروا الى الفتى ، كم هو خجول ! (يدور خلفه)كل هذا اتيت به من فرنسا ؟مااطيب قلب هذه الام الرائعة التي تدلل ابناءها ! انظروا ، انظروا الى خديه الموردتين بدم الصحة ... انظروا الى الشباب ذاته متقمصا رجلا ، (الى جاك) هؤلاء فتيانك ياسيدي .. انهم مقرؤون ككتاب مفتوح ، نظراتهم البريئة ..

الضابط الثاني ـ طراوة افواههم التي ذاقت لذتين منعشتين معا ، الشراب والتقبيل ...

الضابط الثالث ـ استقامة اجسادهم المزدهية المعدة اعدادا خاصا للرقص .. ها ... ها ... ها ..

جاك ـ (صائحا) كفوا عن هذا ، اني آمركم ...

ريمون ـ (متقدما) اني احتج ياسيدي .. .

جاك ـ (في لهجة متعبة) اوه .. لاتكرر امامي هذه العبارة ، انهم فتيان صالحون (يشير الى رفاقه) انهم فرنسيون تماما ، ولكن (يغمز له بعينيه) ولكنك تدرك الموقف ...

ريمون ـ هذه الاهانة غير ..

جاك ـ (يلتفت في حركة مسرحية) لقد اقترفتم حماقة اخرى ، اذن الم انبهكم مرة اثر مرة ، اثر مرة ، بان تقلعوا عن خبثكم ؟ (يعود الى حالته الطبيعية الاولى) اذن . هنا .. لقد جعلتم من حصتي ؟

ريمون ـ (يهم بالاجابة فلا يمهله الملازم)

جاك ـ (يفرك كفيه) فوج جديد . (يرفع رأسه الى سقف الغرفة) ياالهي الن تمسك عني عطاياك ؟ (الى الفتيان) دعوني اتعرف اليكم تماما . ..اتجدون تعبا في الخدمة ؟

ريمون ـ اننا نؤدي واجبنا الوطني ياسيدي ...

بيير ـ في خدمة وطننا الام ...

جاك ـ ياالروعة ! ياللفخامة ! (الى رجاله) لقد كنتم تمجنون على غير حق ... هاهم اولاء هنا ايضا ، كما هو حالكم بسبب فرنسا ، (الى الفتيان ثانية) في الجبال ...

ريمون ـ نعم ....

جاك ـ (صارخا فجاة) نعم .. بكل بساطة .. .ولكني لست على يقين من ذلك ...؟؟ ان العائدين من الجبال لايسودون الرسائل ، لايحقنون قلب فرنسا بالغضب ، ان العائدين من الجبال يتملكهم شعور ما مختلف ، اتدري كيف هو ؟..

ريمون ـ لست ادري ياسيدي ...

جاك ـ صبرا ، صبرا ايها الصديق ، لماذا انت في عجلة ؟ (يلتفت الى رفاقه الضباط) أرأيتم الى هذا الغضب الذي يلهج به لسانه انه يائس من الحرب..

الضابط الاول ـ يائس من الحرب ...

الضابط الثاني ـ يائس ..

جاك ـ (صارخا ، غاضبا) كفى ... (يستعيد صوته رنته المتعبة) لست افهمكم ايها الاصدقاء لست افهمكم ابدا .. يزجون بكم في صميم هذا القتال الوحشي دون انذار ، دونما تحضير ، ان فرنسا الان حديقة ازهار وعرائش ، انها تنبت الزهور ، وتصدرها ، فرنسا البستاني ، (يلوح بذراعيه معا) اية مهزلة ، اية فاجعة ، ولكن الكروم هنا ايها الاصدقاء ، كروم الرجال الحقيقية ، المثقلة بالعناقيد ، الملوحة حباتها بشعاع الشمس .. .اية مهزلة !!

روجيه ـ (متقدما وفي نظراته تصميم مفاجيء) ياسيدي الملازم ، ارجو ان تأذن لي ..

جاك (يصفعه بنظرة مثقلة ، غضبى) لقد كتبت اشياء جميلة جدا ايها الصديق ، انها منقوشة على صفحة قلبي ..

روجيه ـ اني مسؤول عن كل كلمة ياسيدي ...

جاك ـ ايها الصديق . .اني اريد شجاعتك كلها .. ترى هل ابددها بسبب بعض الكلمات الطائشة ؟

روجيه ـ اني مقتنع بها .. .تماما .. .

جاك ـ ادري .. ادري .. تكاد هذه الكلمات تتلفني .. ولماذا ؟ اليس ذلك لانها مقنعة ؟

روجيه ـ اذا كنت تسخر ....

جاك ـ (يرفع يده في وجهه) اسخر ولماذا ؟ ان كلماتك حقيقية ، مخلصة ، مبرئة ... لقد فتنتني ... بل لنقل انها قلبت تفكيري ، كما لو انها محراث يشق ارضا مشققة السطح ، وينبش قلبها الطري ... ولكن كلمات صديقتك الطف وقعا ، خيل الي وانا اتصفحها مرة ، تلو مرة ، انها تقطف تعبيرات الاخرين ، كما يقطف بستاني حاذق ثماره الناضجة ... ولكن صديقتك الجميلة (يغمز بعينه) لقد كانت جميلة دون ريب في ذلك الثوب البحري ، واي ثوب !... ياالفرنسا الرائعة ! (ترق لهجته المصطنعة) فرنسا اللطيفة ، ذات الايماءات الدقيقة المليحة فرنسا المفتونة باصطناع تعابير جديدة كلما شاع تعبير وابتذله السوقة ..

روجيه ـ اني لاافهم ياسيدي ، هذه الطريقة التي تتحدث بها عن خطيبتي ....

جاك ـ ايها اكثر ايلاما لك ؟ صديقتك ام فرنسا ؟

روجيه ـ ان فرنسا ملك لنا ، ملك للكل ، اما صديقتي ...

جاك ـ اتظن ذلك ... اتظن حقيقة ، اننا نملك فرنسا ؟.. واذا كنا كذلك ، فما هي حظوظنا منها ؟ ماهو نصيبك انت مثلا ؟

روجيه ـ اني مواطن مثلك تماما .

جاك ـ هراء ؟!..

روجيه ـ ياسيدي ... .

جاك ـ (يتسمر في منتصف الغرفة) يا سيدي ، انتم ، انتم الثلاثة لتنسوا قليلا الان مواقفكم وتجريراتكم، لتنسوا ما تركتم من مباهج،لتفرغوا جعبكم من الحلوى المجانية ، انهم يطعموننا هنا العسل المر ، لقد كتبت عن القتل ، عن التخريب ، عن اتلاف النفس البشرية ، ان احدا يجب ان يكون مسؤولا عن هذه الحرب اللعينة ... تقول انها ازمة ضمير ؟ وقد تقول انه الله ! ماذا يهم ! ولكنك يجب ان تكف عن ففح اللعبة ، يجب ان تكف عن الكتابة، يمكنك هنا ان تقتل ، فذلك هو واجبك ... نعم .. لدينا عدة طرق للقتل ..ولكن هل يصبح القتل مع الشرف ذا طعم خاص ؟ يمكن لنا ان نتحدث ، ويمكن لنا ان نتجرع الخمر ، ويمكن لنا ان نقتل ، انه اتلاف للنفس البشرية ، سواء في ذلك الحديث ، والخمر

والقتل ، هنا فقط ، هنا فقط ، ان فرنسا لن تستمر في اوربا اذا لم تنتصر هنا !

(فترة ، تنكس رؤوس الاصدقاء الثلاثة ، ويتحرك الملازم جاك كانما يهم بالخروج ، ثم يتوقف)

جاك ـ لقد استدعيتم هنا ، لتواجهوا الحرب عارية ، انكم فرنسيون حقيقيون ، سوف تغمسون ايديكم في نفس الوعاء ، لتستشعروا لزوجة الحرب ، وتتنشقوا رائحة الدم الساخن ، اتنتظرون التحقيق او السجن؟ ان الخونة فقط يمنحون هذا الامتياز ، ان يعاملوا كاعداء ، اما انتم الثرثارين تلامذة الكتب المسمومة ، والمقالات العارية ، فاننا نضعكم امام الفاجعة ذاتها ، سوف تكتشفون السبب الذي يجعل جنودنا ، ملونين مغموسين بالخطيئة(يتردد لحظة، ويجيل طرفه في وجوه الفتيان، المتطلعة، المكدرة) اتريدون ما هو خلف التبرير ؟ ماهو وراء الشر ، والوحشية ، ماهو وراء التعذيب ؟... ما هو خلف الجدران البشرية الصامتة ، التي لاتشف عما في داخلها ، ماهو خلف هذا الخداع والتمويه ، والزيف ما هو خلف الشرف ، ما هي فرنسا الحقيقية الان ؟ عندما تلمسون بأيديكم الناعمة جسد الجبن في مقابل الشجاعة ، وقتها ندعوكم للاختيار ، فاما ان تمنحوا امتيازات الخونة واما .. واما ان تظلوا فرنسيين مع كل هذا العار ... .(يمشي نحو الباب الخارجي ، يتبعه زملاؤه في حركة آلية ، يستدير فجأة وبحركة مسرحية) انتظروا .. منذ الساعة ... اوامري (يتنهد) لنمض الان اخيرا ..

يخرجون

ريمون ـ (يتحرك فجأة) واذن ؟

بيير ـ واذن ! (يلوح بذراعه) اننا مقذوفون هنا ، على سطح المجتلد .

روجيه ـ هم ، ونحن ، لننطلق ، ارجوكم ، اني اختنق هنا !

ريمون ـ (ساخرا) لننطلق في اولى اماسي عبثنا الجديد ...!

روجيه ـ (يثب فجأة صوب غرفة التعذيب . ويقرع الباب بكلتا يديه) هم ، ونحن ، هنا ، هنا ، هنا في مواجهة العار ، في مواجهة فرنسا ...

السجان ـ (مجفلا) ماذا تفعل ؟ ياسيدي ، ياسيدي ، انك تؤذيهم .. سوف يصابون بالذعر ... هذه اوقات الراحة ... ياسيدي ..رجاء ..

روجيه ـ (يكف عن خبط الباب ، ويحملق صوب السجان) اوقات الراحة ؟.

السجان ـ (مؤكدا) ان هذا يزعجهم يا سيدي ، سوف يبدلون فورا مواقفهم ، في انتظار .. اووه ... .

روجيه ـ (صارخا) ماذا ، ماذا ايها الغبي ؟

السجان (يمد ذراعيه) ... .ان يدي موثقتان الان .. .اني اطفو ، ان خبطاتك تروعهم ...

روجيه ـ (في حالة تشبه الهذيان) منظمون ، اذن ، تماما !! ايها القتلة ، ايها السفاحون ،ايها الاغبياء ، هذه هي مرآتكم . هذه هي ..

(يجره صديقاه ـ فيستسلم دونما مقاومة ـ الى الخارج)

السجان ـ (وحيدا) دعوني اطمئنكم ... لم يكن ذلك الا خطأ ، خطأ فادحا ... (يقترب من باب غرفة التعذيب ويتسمع) .. عودوا الى جلدكم ثانية ايها الاعزاء ، ماذا في يدي انا .. (ينظر الى يديه ثم يخفيهما بسرعة خلف ظهره) لقد كان تصرفا خاطئا ، ان يخرجكم دونما عذر ، من اوكار راحتكم ، من تحت جلدكم المهمل ... (يهز رأسه في اسف) ... ان يسارع انفاسكم ... عودوا ثانية .. ماذا في يدي !؟.. (تتملكه حيرة هستيرية ، وهو يحاول ان يخفي يديه في غير ما مكان .. ويتلفت كالمأخوذ .. في حين يسدل ستار الفصل الاول)

* * *

الفصل الثاني

المشهد الاول

(الكابتن جوزف خلف الطاولة ، مسند الرأس الى الجدار ، ورجلاه محمولتان على المكتب ، الى اليمين يقف الملازم جاك ، وفي اقصى الزاوية صف الضابط روجيه ، باب غرفة التعذيب موارب ، تسمع بين الفينة والفينة ـ ما ظل الباب مفتوحا ـ انات المعذبين دون ان تطغي على الحوار ... الوقت نهارا)

جوزيف ـ واذن ايها الصديق ؟

جاك ـ (يمط شفتيه) ـ ينبغي لنا ان ننجز بعض التبديلات .

جوزيف ـ (متثائبا) ولماذا ؟

جاك ـ نعم ، لماذا ؟

جوزيف ـ (يلتفت برأسه جميعا دون ان يرفعه عن الجدار) الا تروق

لك ... كل هذه الالات ؟ (يضحك) اعني .. الم تعد الاصوات التي تطلقها تصدي في اذنيك كالعادة ؟

جاك ـ (يهز راسه) كلا ، انها تصدي في كفاية الم يكن ذلك تعبيري؟

جوزيف ـ (ضاحكا) بالضبط ..

جاك ـ (كأنما يهمس لنفسه) انه ظمأ قتال ، جاف ، انه ظمأ صحراوي.

جوزيف ـ لم اكد اسمع ...

جاك ـ نعم ، ونعم .. اريد ان اسألك ..

جوزيف ـ ماذا ؟

جاك ـ الى متى تطيق الاحتمال ؟

جوزيف ـ اي شيء هذا الاحتمال ؟

جاك ـ ساعات اخرى ، ام سنين ، حتى تشيب اعصابك ... لماذا لاتشيب الاعصاب ؟ انها تنسلخ فحسب (يوميء الى الغرفة) .. غالبا ما تجعلهم هذه الالات ينحصرون فوق شفاههم ... يدق كل شيء ويتناهى، تصطدم النفس في جدران الاوعية وتخرج الى الحلق، ولكن لماذا ينتهي الصراع فجاة ؟

جوزيف ـ اي صراع ؟

جاك ـ (في صوت خفيض) بين النفس ، والنطق ...

جوزيف ـ عندما لا يطيق الانسان بعد ان يستمر ...

جاك ـ واذن ، واذن اريد آلة اخرى جديدة ، انسانية فوق الظن (مؤكدا في تلهف مسعور) الة ، تفصل بين النفس والنطق ... ترجيء الاولى ، تردها الى ما تحت الحلق ، تمددها خلال الاوعية الداخلية المتشنجة ، وعندئذ ...

جوزيف ـ (متابعا في فضول) وعندئذ ..

جاك ـ وعندئذ ، يخرج النطق وحده !.

جوزيف ـ (ضاربا المكتب بعقب حذائه) اي شيء شيطاني هذا ؟..

جاك ـ وما الفرق بين ان يكون شيطانيا ، او انسانيا ؟ المهم هو ان نصنعها ... .

جوزيف ـ (ينزل رجليه من على المكتب ويصالب ذراعيه في مواجهة الملازم) جاك !..

جاك ـ نعم ... نعم ..

جوزيف ـ اتدري ؟ اني لم اعد اتذوق هذه المتعة !

جاك ـ (متعبا) ارجوك ، ارجوك ان تكف .. هو .. (يوميء الى روجيه)

جوزيف ـ وما شانه ؟ لقد كسبناه ...

جاك ـ حقا ؟

(يلتفت جوزيف صوب روجيه ، ولكن هذا لا يحير قولا)

جاك ـ لم يعد يكتب ... لقد انقطعت المناقشات ، ولكنه لا يتحدث في شيء ، ولا يختلط مع الزملاء .. ايها العزيز روجيه ! ما رايك في اقتراحي الشيطاني (يصر على الكلمة الاخيرة في خبث) .

روجيه ـ (جامدا) انه ليس شيطانيا ...

جاك ـ آه ...

روجيه ـ في قاع العار ، ليس هناك من قياس ... لا فرق في اي شيء ...

جاك ـ قد غمست اذن ...

روجيه ـ .. غمست ...

جاك ـ كفرنسي ..

روجيه ـ كفرنسي تماما !

جاك ـ (يصفق في حركة تظاهرية ساخرة) دونما خجل ؟

روجيه ـ دونما خجل...

جاك ـ حتى ...

روجيه ـ في (حدة) حتى لا استشعر الندم او الحياء ، او القرف .. لم يعد شيء معرضا للتلف .. انها عمليات صداقة .. اننا نعطف على العرب ، اننا ندللهم .. اتريد ان نستمع معا الى هذا النشيد الجماعي المتصاعد من عشرات الحناجر المتقلصة ؟ اتريد ان نبدأ بالماء ، او الكهرباء ، او الكي ، او القرص ، او نتش الاجساد ... اتريد ان نستخدم المقصات او الكلاليب ، او البطاريات المتقطعة ، او التيار التليفوني ، اتريد ... كلا ... كلا .. دعني . اتريد ان نشغل الالات ام نعيد من تجاربنا التحليلية الناعمة ... من هم ... ان الحيوانات لا تعرف النطق ، ولكن الله خصهم بالمزيتين ، ان يكونوا حيوانات ، وان ينطقوا في الوقت نفسه ... (يرتجف من التاثر ولكنه يظل متماسكا ، ساكن التقاطيع)

جاك ـ (يمد اصبعه في وجهه ويريد ان يتكلم ، ثم يعدل فجاة ، وينزل يده)

جوزيف ـ .. هيا .. هيا .. لنر ماذا يجري هنا ، حقيقة (يصرخ)، فرنسيس !

فرنسيس ـ (من الداخل) على الفور يا سيدي .. (يدخل السي المسرح من غرفة التعذيب في صوت مبتهج) نعم يا سيدي ؟!

جوزيف ـ الم تستطع شيئا ؟

فرنسيس ـ صبرا ، صبرا ... ان دلو الماء مدلى في مواجهته تماما ان عينيه تحترقان ظمأ .. تحترقان ..

جوزيف ـ ماذا بعد ؟ .

فرنسيس ـ اننا لم نكد نبدأ يا سيدي ؟!

جوزيف ـ ادع بوعلاق ...

فرنسيس ـ اين ؟

جوزيف ـ أين ؟ .. في الخارج ايها الغبي !

(ينطلق فرنسيس)

جوزيف ـ لنر ما سوف يفيد هذا الوغد .. يخيل الي انه يخدعنا ..

جاك ـ (في صرامة) كلا ...

جوزيف ـ الم تلحظ حركة اصبعه جنب فمه ...

جاك ـ وماذا تعني ؟...

جوزيف ـ وما يدريني ؟ ... ولكنه يفكر ويلعب باصبعه قبل ان يشرع في الادلاء بشيء !!

روجيه ـ يريد ان يتمالك يا سيدي .. ان افشاء السر يتطلب في كل مرة شجاعة جديدة ...

جوزيف ـ نعم ، نعم .. ولكني لست على يقين من صدق اسراره .

جاك ـ (محتدا) قلت كلا .

جوزيف ـ حسنا ... فهو في خدمتك انت .. ولكن [يدخل في اللحظة فرنسيس ومن ورائه بوعلاق .. وطني في رداء شعبي ، يحيي الضباط في حركات مستحيية]

جاك ـ بوعلاق ...

بوعلاق ـ (يتقدم)

جاك ـ بوعلاق ... اتحسب انك مفشوش ؟

ـ التتمة على الصفحة ٤٥ ـ

الغضـــب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٨ ـ

بوعلاق ـ (يهز رأسه نفيا)

جاك ـ بوعلاق .. لقد استخدمنا ـ تقريبا ـ كل الطرق .. ولكنه يصر على الرفض ..

بوعلاق ـ نعم ...

جاك ـ (صارخا) ماذا تعني بنعم هذه ؟

بوعلاق ـ اعني ، اعني.. انه يرفض ..

جاك ـ ولكني ادري .. انا اخبرك بهذا .

بوعلاق ـ (في برودة) اني اعلم يا سيدي حتى من قبل ان تخبرني..

جاك ـ ولماذا ؟

بوعلاق ـ انه من اكثر ضباط جيش التحرير افتتانا بنفسه، انهم يسمونه هناك (يشير الى الخارج) الصقر ...

جاك ـ هو .. ابن حمود ؟

بوعلاق ـ (في صوت مستسلم ، مسترخ) هو .. ابن حمود ..

جوزيف ـ واذن ايها الصديق بوعلاق ...

بوعلاق ـ (ينظر اليه دون ان يستطيع اخفاء تشفيه تماما) .. واذن لقد يئستم ؟

جوزيف ـ اوه ، كلا .. بوعلاق .. انك خبيث .. ماكر .. انك كلب حقيقي !!

بوعلاق ـ شكرا يا سيدي ، حتى اخون شعبي ، يجب ان اتمتع بقدر وافر من الضعة وكذلك من اجل ان اتشبه بكم !

جوزيف ـ (يضرب المكتبة محنقا .. ويرده جاك بنظرة عما يوشك ان ينفجر فيه من غضب)

جاك ـ حسنا ، يا بوعلاق ، لقد يئسنا ..

بوعلاق ـ (مبتهجا) وعندئذ ، يأتي بوعلاق

جاك ـ (متظاهرا بالاستسلام) كما ترى ..

بوعلاق ـ (يمضي محاذرا الى باب غرفة التعذيب ، فيدفعه كل جسمه حتى يوصد تماما) الان ، الان .. اليك طريقتي ايها السيد الملازم .. اليك طريقتي كما هي (يتنهد) ان لابن حمود اختا هنا ، هنا نعم ، في قلب المدينة ، ايتوني بها ، وهي وحدها قادرة على ان تحل لسانه ... ان ابن حمود شغوف بها حتى الوله ، ذلك انها بقية اهله ... وهي معقودة اللسان ايضا .. اتدري ايها السيد الملازم بسبب ماذا ؟ لقد سفك دم اشقائها الثلاثة معا امام بصرها ... حملت حملا على ان ترى ... لقد كان ذلك من صنع احدكم ... واحد من اكفأ الضباط واكثرهم نذالة ... (يتمالك الفرنسيون بصعوبة من لسعة الغضب) انها البقية الباقية لابن حمود ، يتغذى منها بهذا الحقد اللاهب.. ومن اجل هذا تراه مفتتنا بنفسه .. بطلا .. وغير انساني (يهز رأسه) اني ادري .. لقد كان ابن حمود وديعا .. حييا .. من انصار ثقافتكم ايها السيد الملازم ... وعندما خرج الى الجبل تغير كل شيء ...

جوزيف ـ (يقترب من بوعلاق) بوعلاق .. بوعلاق ..

بوعلاق ـ نعم يا سيدي ؟

جوزيف ـ بوعلاق ... الا تريد ان تفضي الي بشيء ... بشيء صغير؟

بوعلاق ـ (ينكس رأسه)

جوزيف ـ كأن تصدقني مثلا .. ما هو السبب ؟ ..

بوعلاق ـ لست افهم يا سيدي ..

جوزيف ـ انك تفهم ... انك تفهم بالتأكيد ...

بوعلاق ـ (الى جاك) هل انا مضطر الى مثل هذا ايها السيد الملازم ؟.

جاك ـ (يهز رأسه) كلا ...

بوعلاق ـ ولكنك تدري يا سيدي ... (يلتفت الى الكابتن) .. اليس في انا النذل دليل على بطولة شعبي ايها السيد الكابتن ؟..

جوزيف ـ ليكن ... ليكن ...

بوعلاق ـ اليس في ، انا العربي اسما ، دليل على ان الخيانة التي تخرج منا ، تبدو غريبة ، مضحكة .. فريدة تماما ؟..

جوزيف ـ (يضبط ثورته) ليكن ...

بوعلاق ـ واذن ؟ اليس يرضيك ان يقع تحت يدك ... في مواجهتك تماما خائن عربي .. الا يغنيك هذا ، ويزيد في بسالتك ايضا في مواجهة العار ..

جوزيف ـ (يندفع صوب الرجل ، ويصفعه على وجهه بجمع كفه ..) ايها الكلب ايها الكلب ...

بوعلاق ـ (في رنة يائسة) هذا هو السبب ايها السيد الكابتن ... لقد كنت دائما كلبا وجبانا ... ان الفرصة وحيدة ايها السيد الكابتن ، فرصة العربي وحيدة ... يمكنه ان يسقط ، فيستمر الى الابد في سقطته ... (يتوقف ليمر بكفه على جانب وجهه حيث صفع) ما هذه انها لا تترك الا اثرا حسيا ... ذلك اني ذليل ... لقد ادخلت الى هنا مرة ... (يشير الى غرفة التعذيب) .. فلم استطع ان اتوقف ... صرعني الرعب .. فانحل لساني ، لقد اسفت .. حتى اني تمنيت الموت ... ولكنهم انذروني بهذا الشيء .. « لن تموت يا بوعلاق ، لن تموت يا بوعلاق ، لن تموت يا بوعلاق »..

روجيه ـ .. (في لهفة) ولماذا ؟ هيا قل لماذا ؟.. (ينتبه فجاة الى نفسه فيحمر قليلا)

بوعلاق ـ لماذا ؟ انك جديد هنا .. (يبتسم في خبث) تريد ان تكتشفهم ايها السيد الملازم ؟ دعهم يخبروك عن انفسهم ... اعطهم الفرصة ايها السيد الملازم .. لماذا ؟ ولكن في أي شيء يفيدهم قتلي؟ لقد اعلنت اني على استعداد للموت ... وكنت ذاهبا اليهم سعيا اليه .. ولكنهم انذروني « لن تموت يا بوعلاق » .. لن تموت يا بوعلاق .. »

روجيه ـ (مندفعا دون وعي كرة اخرى) واذن ؟

(جوزيف وجاك ينظران اليه في استنكار)

بوعلاق ـ واذن .. (ينفض ذراعيه معا) .. ان لساني يدور في فمي ، دائما ، دائما .. حتى .. حتى لا يقطع ايها السيد الملازم ..

جاك ـ (ساخرا) انه يدور اذن ؟ يدور دونما عذر ، دونما مكافأة ..

بوعلاق ـ اتظن يا سيدي ؟

جاك ـ انت نفسك تظن ..

بوعلاق ـ سوف يدور بسرعة متزايدة ... حتى يفعمهم غضبا ... وعند ذلك ..

جاك ـ لن يقدروا على هذا يا بوعلاق ! .. انك مخفي تماما .. دعني اصارحك بشيء الان ... سوف نحفظك دائما ، حتى من غضبنا ..

بوعلاق ـ نعم.. نعم.. بسبب من هم على شاكلتي، اولئك المقصوصون من قماشتي أنا .. ولكن ايها الملازم ... اتراني مهملا بليدا ؟

جاك ـ (في سخرية ناعمة) كيف يا بوعلاق ؟.

بوعلاق ـ واذن ؟ فسوف استهلك عما قريب ايها السيد الملازم ... عندما تستنفدوني، عندما تصبح خبراتي قديمة ، معفيا عليها ، عندما لا استطيع ان اتجدد ... عندما اعيش بينكم فما ادري فوق ما يدري صغار جنودكم .. عندها ، الن تتخـــلوا عني ايها السيد المـــلازم ؟ ان نفع امثالي مرجو عندما اكون بين شعبي .. نعم .. نعم ... ايهـا السيد الملازم سوف استنفد يوما ، اني أدري ، ولكني لست في حزن ..

جوزيف ـ ولماذا تكون في حزن .. ما دمت حيا ؟..

بوعلاق ـ لماذا ؟ (يتلمس اثر الصفعة مجددا) لن يقـدر لك ان تـدرك ايها السيد الكابتن ... معنى ان اكون حيا ، فذلك هو العبء الحقيقي ... ان العربي الخائن يجب ان يموت .. دائما ، دائما ..

روجيه ـ ولماذا لا تقتل نفسك ؟.

بوعلاق ـ آه .. نسيت شيئا .. يا سيدي الشاب .. اني جبان ...

روجيه ـ لن يفيدك شيء ،سواء شجاعتك ، او جبنك ...

بوعلاق ـ كلا يا سيدي ، لن يفيدني شيء ، ان لساني يـدور بسرعة حتى يعجل نهايتي (كأنما يحدث نفسه) سوف يغضبون كفاية ، ان ابـن حمود غال جدا ، ليتهم يفقدون الصبر ، ليتهم يفعلون ، ليتهم يفعلون...

جاك ـ هيـا .. تمنَّ شيئا اخر .. لنفرغ اولا من ابن حمود ... (يفرك كفيه ارتياحا) روجيه !!

روجيه ـ نعم يا سيدي ...

جاك ـ سوف يرشدك بوعلاق .. وعليك ان تأتي بها حية .. حية برغم لسانهـا المعقـود ... روجيه .. انها مهمة ممتازة ...

روجيه ـ نعم يا سيدي ..

جاك ـ (في رنة خاصة) روجيه ! ان هذه المهمة منقذة ..

روجيه ـ ادري يا سيدي الملازم ... سوف انجزها ...

جاك ـ حسنا ، حسنا ... والان هذه هي طريقتك يا بوعلاق، خارجا ... ليكن ذلك في الخارج يا بوعلاق .. [يخرجان]

جاك ـ (يدور في الغرفة قلقا متوترا) لنـر الان ، لنـر الان ... (يتوقف) هل ندعو الكولونيل ... (لا يمكن الكابتن من الرد) .. ولكن كلا ... انه حصتنا ... الن يكون منظرا عجبا .. هذه طريقة ممتازة ... وفوق ذلك فهي شائعة تماما ، ايها الصغير بوعلاق ، ايهـا الصغير بوعـلاق ...

جوزيف ـ (متأنيا) لا تعتمد على ذلك ...

جاك ـ على ماذا ؟ ان بوعلاق لا يكذب ، فهو يشي بهم بدافع مـن العبث، انه مصروع بفكرة الموت ... (يغمز بعينه) سوف نريحه ايها الكابتن ... العربي الخائن يجب ان يموت .. والفرنسي كذلك ، اوه ، الكل بدون استثناء ... انها جائحة الموت .. في كل مكان يضج الموت في الصدور ، والحلق ، على الموائد ، في ساعات الصحو ، والموت ، اننا في سباق معه ، يجب ان يموت الناس ، والا كف كل شيء عـن الدوران ...

جوزيف ـ جاك ، جاك ...

جاك ـ (في لهجة متعبة) لماذا تتوقف يا سيدي .. لماذا ؟ اخبرني..

جوزيف ـ انهم يضجون حولنا ... لن نترك على هذا النحو ...

جاك ـ من ؟ (ملحا) اخبرني ..

جوزيف ـ آه ، انك تدري

جاك ـ أدري ... ولكن من يستطيع ان يقف في وجه المجزرة ؟ لجان التحقيق ؟ سحقا لها ! ان عيونهم تحمر غيظا ، ثم تبرد وهـي تخـلف وراءها اخر ثنية لارض الجزائر ، عندما يغيب كل شيء حقيقي هنـا وتبقى الذكريات .. في الطريق الى الوطن يختلط كل شيء مجددا الحقيقي والزائف ... يعودون فيشربون خمورنا .. ويذكرون لباس الميدان .. واللهجة الفرنسية المتعبة ، ومع ذلك يكتبونشيئا دونمـا حرارة ... يجهضون رواية الفاجعة عبر الكلمات .. والمسؤولون يقرأون فيموت السقط تماما .. سحقا لهم ! سحقا لهم .. جوزيف ـ جاك، اني من صفك ، ولكن الآباء .. العائدين !!

جاك ـ الآباء .. ايهم ؟ هذا الحارس للفضيلة الذي يتعقبني ؟

جوزيف ـ الاب جولي ...

جاك ـ هو.. سوف يأتي هنا .. لقد انذرني بانه سوف يأتي (يتطلع في ساعته) آه .. انه ينتظر منذ ساعة تقريبا .. اين المهرب ؟

جوزيف ـ دعه ينتظر ..

جاك ـ انظن ، كلا ، لن ييأس .. انه يؤنسني حقا .. يقول ان الله اختاره للحراسة .. يقول ان الله لا يعرف التعب ... ولكني متعـب فـي الحقيقة ...

جوزيف ـ لماذا لا يبشرون في مكان اخر ؟

جاك ـ اين ؟ في فرنسا ؟ ان تعب فرنسا اقل انهاكا ، وهنا يرتسم طريق خلاصهم . ان النفوس المهجورة ، لا تبغي الهداية .. الا انها صيدهم الحقيقي وهي لذلك نادرة مرغوبة ...

جوزيف ـ (هازئا) هكذا ... هكذا .. الن يمكنك ترويضه ؟

جاك ـ لقد فعلت ... يقينا .. ولكني احفر عناده في الحقيقة ... دعه الان ! ما هذه الضجة ؟ (يتناهى من الخارج صدى اصوات) الـن يمسكوا عن مطاردتنا ؟ [يرن جرس الهاتف]

جوزيف ـ (يأخذ الالة ويتسمع) كلا ... لا اريد احدا .. قلت كلا من .. ليذهبوا الى الشيطان .. انتظر (يبعد الالة عن اذنـــه) ... المستوطنون ..

جاك ـ (مترددا لحظة ثممصمما فجأة) ولماذا لا ؟ دعهم ! الا تـرى كم انا تائق الى الحديث ؟ لنر ابن حمود !.. فيما بعد ... عندما يأتي دور الصبية ...

[فترة ، يقرع الباب ، ثم يدخل ثلاثة من المستوطنين ، وامرأة نصف وفتاتان صغيرتان وصبي.. وخلفهم الاب جولي ..]

السيدة وواحد من الرجال معا ـ اين القائد ؟ اين القائد ؟

جوزيف ـ صبرا ... فيم الصخب ، صبرا يا سيدتي !

السيدة ـ (تتقدم) ـ كيف ؟ الا تعلمني ، الا تعلمني كيف يكون الصبر؟

جوزيف ـ بعض الهدوء يا سيدتي ، استريحي قليلا ، [يهرع فرنسيس ويقدم لها مقعدا]

السيدة ـ (ترفض القعود) اني لا اطيق القعود ، لم اعد احتمل ، انها اعصابي ايها السيد ، ماذا تفعلون ؟ لماذا انتم خلف مكاتبكم (تمرغ وجهها بين كفيها) يا الهي ! لماذا لا تتحركون بحق المسيح ؟؟

جوزيف ـ سيدتي !

السيدة ـ (متضرعة اليه) اطفالي ايها الكابتن انظر .. انظر اليهم جيدا (تشير لى الفتاتين والصبي)

جوزيف ـ ولكن ماذا يجري ؟ ان ابناءك اصحاء موردون ، يتفجرون

عافيـــة !!..

الرجل الاول ـ (في حوالي الخامسة والاربعين) اني عمهم يا سيدي ... ولكنهم يعيشون في رعب قاتل ...

السيدة ـ (للرجل) لماذا تقاطعني دائما ؟ انك تقعد خلف النافـــذة وبجانبك بندقيتك ، وذلك الشيء الصغير.. ذلك الكأس الذي لا يفرغ ابدا ... وتشير علي بالصبر .. انك سكير ليس غير ..

الرجل ـ اواه (متضرعا اليها) لا تقولي هذا يا مادلين ، ارجوك ...

السيدة ـ .. انظر اطفالي الان ، تفحصهم جيدا ، انظر انهم اطفالك تماما ، كما لو كنت ابا حقيقيا لهم ... ولكنك تقعد مجترا نشـــوة الخمر .. انظر اليهم ! (تمسك الصبي ، وتجسه بكفيها المرتجفتين ، ثم تنحني فجأة وتحتضنه) اليس ولدا صالحا ؟ الا ترى كيف يعمر العزيز الراحل خلاله ؟

الرجل ـ (يشيح بوجهه) ولكنه كذلك ، تماما (يتنهد في يأس)

السيدة ـ واذن .. لماذا لا تفعل شيئا ؟

الرجل ـ مادلين .. (في ضراعة) الم نتذاكر معا في العودة؟

السيدة ـ الى اين .. يا الهي ؟ العودة ! العودة ! ما امر الكلمة !

الرجل ـ ولماذا ترفضين يا مادلين ؟ من اجل الله ؟

السيدة ـ لماذا ؟ .. ولكن ، هل انت على يقين من رغبتك في العودة؟ تكلم .. لماذا تنكس رأسك ؟

جوزيف ـ (متدخلا) لست افهم يا سيدتي .. عفوا !

الرجل ـ سوف تفهم يا سيدي.. انها ترفض ان تعود .. هذه هـي الحقيـقة .

جوزيف (نافد الصبر) ولكن لماذا ؟ .. لماذا تريد العودة ... ولماذا ترفضهـا ؟

جاك ـ يا سيدتي اهدئي قليلا ! (الى الصبي) تعال هنا .. الـى جنبي (يبسط له يده)

السيدة ـ (تهرع في جنون فتمسك الصبي قبل ان ينطلق) كلا ... اواه .. كلا

الاب جولي ـ دعيني اساعدك قليلا .. تشجعي ايتها السـيدة ...

السيدة ـ (تنظر اليه في رعب) لا اريدك انت.. كلا .. كلا .. ان الله لا يستطيع شيئا هنا ...

جوزيف ـ صبرا .. ولكن لماذا تنوئين بهذا الرعب؟

السيدة ـ (للصبي) قل لهم يا ولدي .. تكلم ! .. ماذا رأيت ؟ ماذا حملت الي امس ..مساء ؟ هل نسيت يا ولدي ؟..

الرجل ـ تكلم يا ميشو !.. هيا ..

السيدة ـ لقد امسكوه عند طرف المزرعة .. وحملوه رقعة صغيرة، كلمة واحدة .. كلمة واحدة.. الفريضة .. يجب ان ادفع .. ولكنهم اوشكوا على اختطافه .. اليس كذلك ؟ اليس كذلك يا طفلي ؟ لقد كاد ان ينطفيءرعبا ..

جاك ـ (الى الصبي) حدثني يا ميشو ... ماذا اجرى بالامس ؟..

الصبي ـ (مستغربا بعض الشيء) .. اقترب رجل مني وحياني

جاك ـ ثـــم ؟..

ثم فرك رأسي برؤوس اصابعه .. وكان يبتسم لي .. ثم ..

الصبي ـ ثم اعطاني ورقة .. الى ماما ..

جاك ـ (في لهجة رقيقة) الم تكن خائفا يا ميشو ..؟

الصبي ـ (متطلعا صوب امه) ماما .. لقد قلت لك .. لم اكن خائفا.

السيدة ـ يا صغيري المسكين .. ولكنك لا تدرك الخوف .. لقد كادوا ان يختطفونك ...

الاب جولي ـ يا ابنتي .. سوف تخلصين .. ولكن الطفل ...

العـــم ـ مادلين، مادلين، ارجوك ... ان السيد الكابتن

السيدة ـ دعني ، (الى الاب) يا ابي ،.. اني لم اعد اطيق ... انهم يدورون حول المزرعة ، وهو قاعد ، متصبر خلف النافذة .. اواه

العم ـ الم اخرج للحراسة ؟

السيدة ـ أه ، أه .. لقد فعلت ..

الكابتن ـ يا سيدتي ، قدمي شكواك ، وسوف نجعلك في مأمن ..

السيدة ـ شكواي .. ولكن القضية مختلفة ، اية شكوى يا سـيد الكابتن ؟

الكابتن ـ سوف نحرسك في ايما مكان ..

السيدة ـ لماذا ؟.. اوه ... لماذا ؟

الكابتن ـ ولكن ماذا في وسعي ان اصنع من اجلك ؟

السيدة ـ (مندفعة) تستطيع بالتأكيد .. عليك ان تحررني .. عليك ان تعيد الي أمني .. ان هؤلاء الاطفال (تشير الى ابنائها) مروعون .. ان ابنتي لا تذوقان طعم النوم وكذلك أنا .. ماذا تريدون ان نفعل ؟ عليكم ان تتدبروا القضية ؟. فورا ، فورا ايها السيد ..

الكابتن ـ سوف نفعل !

السيدة ـ انهوا كل شيء .. اعيدوا الى هذه الارض امنها ... لقد وجدت هنا منذ البداية .. وماذا ترى في وسعي ان اعمل ؟ لقد افسدتم كل شيء . الحرائق .. ان النار تتوقد طيلة الليل فيكل مكان .. النار ثم تسود الاشجار وتصبح فحمية .. وتظل علينا في الدروب هياكـــل البيوت المتداعية ، المخربة .. ان اجراس الكنائس تقرع مؤذنة بالرعب.. ويتدفق الخائفون من كل صوب .. هل سمعت قرع الاجراس ؟ اجراس الانذار (الى الكاهن) ان مهمتكم غريبة يا ابي.. ان مهمتكم ان تحـلوا السلام وليس الرعب ...

الاب جولي ـ نحـن نلم الخائفين في بيت الله ...

السيدة ـ ولكن لماذا الخوف يا ابي ؟ من صنع الخوف هنا ؟

الاب جولي ـ (محيرا) ادري يا ابنتي ..

السيدة ـ ماذا ؟.. هيا قل شيئا ..

الاب جولي ـ سوف ينتشر السلام من جديد .. سوف ينتشر السلام باسم الاب ، يقينا ..

السيدة ـ (الى الكابتن) اننا مذعورون ... اطفالي وانا .. ولكن هل ترسلون لي حرسا فينتشرون حول البيت ..؟ لماذا اذن تفذون الرعب لماذا لا تنهون كل شيء ؟

جاك ـ (في شيء من نفاد الصبر) اليس ذلك مضيعة للوقت يا سيدتي .. سوف نحرس اطفالك ..

السيدة ـ اتسمي استهلاك النفس البشرية مضيعة للوقت ، انظـر الى هذا الرجل (تشير الى العم) انه ليس اكثر امنا منا ... وفـي حضنه بندقيته ... يثمل ، ويتحفز للمقاومة .. ولكنه يلقي بنظراته المنطفئة، المستسلمة ، الذاهلة في ارجاء البيت ، ويسقطها في قلبي وفي قلوبهم (تشير الى الاطفال) هل تسمي هذا امنا ؟..

جاك ـ ولكنه ليس اكثر من مزارع .. ان جنودنا ...

السيدة ـ ... كلا آه .. يا سيدي .. ان جنودكم يسمرون الرعب حول البيت وفي منافذه ، وفي صدورنا .. كلا .. سوف ادفع ...

ولكني منتهية تماما

جاك ـ واذن ... عندما تدفعين ينتهي دورنا .. ان ذلك من حقك، رغم ان شرفك كفرنسية ....

السيدة ـ لست اهتم .. سوف ادفع .. ولكن اطفالي يجب ان يستمروا ..

جاك ـ اذا كنت قد قررت ... فسوف يستمرون بعد اداء الفريضة !

السيدة ـ (محتدة) اواه ... لماذا لا تريد ان تفهم .. ليست القضية هي في ان ادفع او امتنع .. الكل يدفعون ... كلا ، .. اقتلوا هذا الرعب الذي يجتاح الصدور ! اننا نقرأ عن الفظائع ، انكم تتدافعون معا لتسويد القلب البشري ... الاطفال ، اه ياسيدي .. انهم يبصرون في صدور الصحف وفي صورها الافواه المقتلعة من مكمنها في الوجه .. الاذان المشرومة ... الرؤوس المفصولة عن اجسادها.. الرجال المدفونين وهم احياء .. سوف يختطفون اطفالي يوما .. اننا نعيش في ترقب ذلك الذعر الزاحف الاتي رغم كل شيء...

جاك ـ ولكن يا سيدتي .. الن تكفي ؟ من هو الذي يختطف اطفالك؟ ان الناس في امن هنا ، تحت رعاية الجيش ..

السيدة ـ (مبهورة النفس) هم ... وربما انتم .. سوف تختطفون الصغار يوما .. [يتدخل واحد من الرجال ، وهو في سن الشيخوخة].

الرجل ـ استميحك العذر يا سيدتي .. اني اقدر عواطفك تماما ... ولكن مسألة الاختطاف .. دعيني اعبر لك .. (الى الملازم) ايها السيد الملازم .. الا ترى هذا اليأس المشين الذي يعمر قلوب مواطنينا ؟ ان اليأس ينتشر دائما ، بدون توقف ... انه يكتسح اعتى القلوب واشدها اعتدادا بأرومتها .. خذ حالتي مثلا ايها السيد الكابتن .. انني املك مصنعا للخمور .. وماذا تبقى لدي الان ؟ انكم تطاردون عمالي ، وهم ليسوا من المتعصبين باية حال ، ولكن باية طريقة يمكنك ان تتفاهم مع ضابط باسل مملوء شجاعة ، ومقتنع في نفس الوقت ان اجرائي المساكين هم من غلاة الثوار ، ومن اكثرهم ولعا بسفك الدم..

ولنقل يا سيدي انهم في صف الثورة ، جبنا ، او شجاعة ، او كرما .. ولكنهم يعملون في تقطير الخمر ... اني اصدرها الى الوطن .. ان رئيس الوزراء نفسه ، وضباط الجيش في باريز يتجرعون خموري.. ماذا افعل اذن ... واذا انقطعت فاني اموت يأسا ... وكذلك سأموت اذا استمر ضباطكم الشجعان في مطاردة صناعي . اني ميت لا محالة! ولسوف يجتاحني هذا الدمار ... سوف يجتاجني يقينا ... خذ قضية الاطفال مثلا .. انها واحدة ، المسألة ليست في ان ادفع ، واوفر نفسي ..ولكن الشعور بالمطاردة هو في صميمي .. كأنه جذور كرمة مسنة.. اني مطارد ، مثل ورقة يائسة ، جافة ، مطروحة في وجه تيار محصور مدفوع دائما في كل اتجاه ... ماذا تريدني ان افعل ؟ ... ان اجرائي ولكن يا الهي .. الست اكرر القول .. خذ قضية اخرى ..

الرجل الثالث ـ (يقاطعه) لتكن قضيتي انا ..

جاك ـ (منتفضا من الضجر) كفوا ، كفوا جميعا ... ولكن من ساقكم الينا ، بحق الشيطان ؟ اليستهناك دوائر مدنية البوليس . والجيش؟

العم ـ لقد قلبوا شفاههم في وجوهنا ..

الرجل الثاني ـ اوصانا احدهم بالصبر .. لقد قال .. الستم فرنسيين تماما ... واذن عليكم ان تستمروا ...

الرجل الثالث ـ اعذرني ايها السيد الملازم ... لقد اسروا في اذني ... ان قوة الجيش الحقيقية هي هنا ...

جاك ـ (متعبا) كلا .. كلا ... ان عملنا من نوع اخر ... اتريد ان اوضح لك ؟

المستوطن الثالث (يهز رأسه) اذا شئت يا سيدي ...

جاك ـ حسنا .. نحن نتعامل مع العرب ، والخونة ..

السيدة ـ واذن .. ماذا تريد ان تصنع باطفالي ؟

جاك ـ دعيهم كما هم تماما ...

العم ـ مادلين ، مادلين ، ارجوك .. لنعد بهم سريعا ..

السيدة ـ الى فرنسا ... كلا ... سوف اتلف سريعا ..

العم ـ (في صوت متذلل يائس) مادلين .. لنعد سريعا ، لنغادر أرض الرعب .. يجب ان ينقذ الاطفال ...

السيدة ـ (في اهتياج) قلت كلا ... (تتطلع صوب اطفالها ، وتلين قسمات وجهها المتعبة فجاة) ربما ، ربما ... يا اعزائي .. يجب ان تفتحوا عيونكم في الصباح على نور الشمس الحقيقية .. ويجب ان تهرعوا الى الحديقة ، وتقتطفوا زهور الصباح.. وتغردوا كالعصافير.. يا الهي .. لنمض .. لنمض من هنا (الى العم) الن نكون في مأمن على الدرب ؟

العم ـ (يمد اليها ذراعيه) يقينا .. دعيني اساعدك .. سوف نمتطي عربة مقفلة ..

(يحتاط البنتين بذراعيه، ويمضي بهما نحو الخارج ، تتبعه الام منحنية بحيث تلف ذراعها حول الصبي)

(فترة)

جاك ـ (منفجرا) ماذا تبقى لديكما ؟

المستوطن الثاني ـ سوف نستمر ايها السيد الملازم .. سوف نستمر ... ان حلوقنا تغص حقدا عليهم (يتمهل) ولكن الن تتدبر الامر ؟ (متوسلا) الان .. قضيتي ايها السيد الكابتن .. مرهم ان يدعوا اجرائي في حالهم .. ان خموري ..

صدر حديثا

حاوية شرف !

مجموعة قصص رائعة

للقصاص العربي المعروف

الدكتور يوسف ادريس

دار الآداب ـ بيروت

جاك ـ (صارخا) لتذهب بها الى الجحيم ... هيا .. سوف نجلد العرب حيثما وقعنا عليهم .. سوف نسوطهم كالحيوانات .. سوف نجعلهم ينفضون اسرارهم لمجرد رؤيتنا ... ولكن انتم ؟.. اية مذلة ؟. خارجا ... خارجا ... سحقا لكم ..

(يتدافع الرجلان في طريقهما الى الخارج)

المستوطن الثالث ـ ايها الكابتن .. ولكني قضيتي..

جاك ـ (يتعقبه هادرا) الى الشيطان .. اشك أمرك الى دوائرالامن..

المستوطن الثالث ـ (يائسا) ولكنها لا تحير قولا ... ان قوة الجيش الحقيقية ..

جاك ـ انها قادمة اليكم ، انتم ايها الجبناء ، سوف تطاردكم قوة الجيش حتى تقتلع بذور المذلة ، والرعب من اعماقكم... هيا ... خارجا خارجا (الى الاب جولي في صوت ارق) في وقت اخر يا ابي ، في وقت اخر (يجر احدهما الاخر ، ومن خلفهما الاب مودعين بنظرات الغضب، وتلويحات الملازم العصبية)

جاك ـ (ما يزال في ذروة اهتياجه) لنبدأ الان ... هنا .. هنا ، (يدق الارض) هنا قوة فرنسا الحقيقية ... لقد ماتت فرنسا في قلوبهم ... يجب ان نطارد الكل ... الفرنسيين والعرب .. يجب ان تجز هذه الحشائش الطفيلية ... هنا مقصها الصلب (فترة) دورك يا ابن حمود ... دورك لتمثل بكل عظمتك امام الحد المسنون المرهف .. اسفا ... اسفا ... اننا نضطر الى معاندتك ، ان عينيك المبلولتين بدم العذاب تؤرثان حقدي. انهما عينان مرفوعتان .. حقيقيتان تفريان باللمس ... كما تفري بحيرة من الماء البللوري .. اسفا ، اسفا ان نضطر من اجل هذا السقط من الناس ، ان نوغل فيهما الموت .. فتنشفا تماما ثم يجففهما العدم (في لهجة ضارعة ، متوقدة) ابن حمود ! ابن حمود ، انها معركتنا الوحيدة ، معركة الرجال ، والفرق انك مأسور ايها الصديق .. الفرق انك مقعد بكل عظمتك .. وان في يدي جلادك سوط الغضب .. انه يحس، ابن حمود ، حتى قبل ان يبدأ رجفة الهزيمة ..

[يسقط الستار تدريجيا مع كلمات الملازم ، وما يكاد ينطق بالعبارة الاخيرة ، حتى يسدل تماما .. يدوم ذلك دقائق ، ثم يرتفع عن المشهد الثاني ، في نفس النهار وذات الاشخاص]

المشهد الثاني

الكابتن ، جاك ، فرنسيس ..

الكابتن ـ (من خلف المكتب) هذه المقابلة ...

جاك ـ (ينهض من على المقعد ويقف قبالته) اريد واحدا يا كابتن ... واحدا فينهار الصف مرة واحدة ، كما لو ان حجرة الثقل قد تداعت في جدار قائم ...

(فتـــــرة)

الكابتن ـ جاك ...

جاك ـ نعم ...

الكابتن ـ اتظن ان ابن حمود ...

جاك ـ ما يدريني ؟ ان هؤلاء الرجال قساة حقيقيون ...

الكابتن ـ (مرجعا في صوت حزين) هؤلاء الرجال ...

جاك ـ اسمعني يا كابتن ! سوف ينتهي بعضنا الى اليأس ، بعضنا الى الجنون ، بعضنا الى الفرار ، ولكننا مشدودون الى هذه الارض الخراب ... اتدري يا كابتن بم أفكر ..

الكابتن ـ ادري ، وما الفرق ..

جاك ـ (غير منتبه) ... الان تنفجر حرب التحرير ... لقد هزمنا في الهند الصينية .. ومن قبل دحرنا في اوربا ، ولكن الان ، الان الان يلزمنا النصر ، دونما اعذار ، ولا تبريرات ، النصر ، كيما يرتد شباب فرنسا اليها (يتمهل) قلت دونما اعذار يا كابتن ...

الكابتن ـ الن تجري المقابلة ...

جاك ـ (يتوقف ويواجه الكابتن) اتريد ان نبدأ حقيقة يا كابتن ؟..

الكابتن ـ اريد .. اريد ...

جاك ـ اترى كم انت مشوق اليها يا كابتن ؟

الكابتن ـ كيف ، اليس عملا يوميا مكررا ؟

جاك ـ (غير منتبه) لاذع وامين ، اننا نخوض اليه سبخة العمل اليومي انه محـرر .. .

الكابتن ـ نعم ، قد يكون لاذعا ومثيرا ، فما هي امانته ؟

جاك ـ (يقترب منه) سوف تقف الساعة على انفجار كبريـاء حقيقية عندما تصطدم بالعار ، اتظن ان الرجل الصامد هو الحقيقي ، الصـامد فحسب ؟

الكابتن ـ اليس هو ؟

جاك ـ يقينا لا ... زود رجلا عاديا بالمطلق ، ثم بقليل من الحماسـة ينجز الرجل الصامد بين يديك ! ان الفلاحين يموتون ببسالة ، يعصبون على قلوبهم حقدا مروعا فينتهي الحب ، والامن ، والرغبات ، وحتـى الامل ، ان الفلاحين يحاربون بدون امل ، همهم ان يقذفوا الاخرين فـي الموت ، وان يوفروا انفسهم اذا امكن ، انهم بشر ، لهم صلابتهم ، ولكنهم منتزعون من دائرة الشرك اليومي ، انهم منسيون برغمهم ، مفصلون للموت ، احياء فقط ليؤدوا دورا واحدا ، مكررا ، هو ان يجهزوا الموت للاخرين (يغادر مكانه ، ويتجه صوب الباب الخارجي) سوف نعـرف الان معنى الامانة الحقيقية ...

الكابتن ـ (حائرا) امانتنـا ؟

جاك ـ (يتوقف) من طرازها يا كابتن ، ولكنها بكيفية مختلفة ، لماذا ؟ اجل لماذا ؟ ان لنا عشرات الدوافع كيما نزج بانفسنا في الحرب ،.. النصر مثلا ، فرنسا ، شرف الجيش ، العادة في ان نحكم الاخرين ، تفوقنا ، اوربيتنا ، الا تكفي نصف دستة من التبريرات ؟..

الكابتن ـ بالنسبة لي .. يكفي ان ننتصر !

جاك ـ يكفيك واحد .. يلزمني انا عشرة ، فماذا يمنعنا بعد ذلك من السقوط ؟ نستطيع ان نمد ايدينا فنخرج هذه اللعب واحدة ، واحدة ... ولسوف تغرينا احداها ، فنعلق بها ، كما يعلق طائر في الشرك ، ان جنودنا يموتون بفعل العادة ، قد يكونون اقل بسالة من الفلاحين، لانهم يتلقون الرسائل من فرنسا ، ويطلبون الحب والعودة وسهرة المساء الممتعة ، ان لهم احلامهم ، وبيوتهم ، وزوجاتهم ، وتسلياتهم ، ومن حقهم ايضا ان يقتنصوا مئات الرغبات الممنوعة ، ولكن الفلاحين معزولون عن الشرك اليومي ، عندما يصارع جنديا الموت ينبثق في مواجهته مصيره الحقيقي ، اما قدرته على الموت ، ويعني هذا ان يصمد ، او قدرته على ان يحيا ، ومعنى هذا ان ينخذل ، وعلى الفلاح ان يموت فحسب، لقـد لعبوا بنا يا كابتن ، ان العربي يموت لانه لا يعرف حتى اليوم حقيقة اخرى ، ماذا ترى تعني البندقية للعربي؟ عندما يمتلكها ينعكس الوضع تماما، انها تستحوذ عليه، انها تستخدمه، انها طريقه الوحيد يا كابتن..

الكابتن ـ (متعبا قليلا) الى اين ..؟ الا تريد ان تفرغ ...

جاك ـ صبرا يا كابتـن ، فسوف نلتقـي ...

الكابتن ـ في نظري سواء ، جنودنا ونحن والفلاحون ، صنعتنا الموت ليس غير ، يكون الجندي امينا عندما يؤمن بحتمية الموت ، هذه هـي القضية ، اما ابن حمود فهو يثيرني لسبب اخر ...

جاك ـ ما هو السبب يا كابتن ؟..

الكابتن ـ (يهز رأسه) لست ادري بالضبط ، ربما كان اغتباطي ناشئا عن الامل في لقاء ثائر غير عادي ، ثائر ممتاز، مثقف ، ابن حضارتنا ، وكذلك ...

الكابتن ـ (يتمهل) اتظن أني ؟

جاك ـ وكذلك ؟..

جاك ـ بلى ، بلى ، انك مشغوف مثلي تماما بهذا اللقاء ، متلهـف لا تكاد تحبس فضولك ... اننا لا نستطيع ان نقف مع ضباطهم وجها لوجه الا ويلازمنا العار ينبثق فجاة في محاذاتنا . ذلك الظل الكريـه المقبض ، ظلنا نحن ، عندما تنحسر اوامرنا ، وشارات الرفعة التي نعلقها على اكتافنا ، عندما يقف الرجل في وجه الرجل ، عندما نتحرر مـن الزيف ، فاذا بنا مسلوبون اعز ما نملك .. مسلوبون الحق في ان نقتل، ننقلب الى مسوخ ، مجرد الات للتعذيب ، مجرد وسائل لفضح الشرف، والمجد ، عندما نصبح غير مستحقين هذا اللباس الذي صنع من اجـل الموت المختار ، المنتقى ، الموت النظيف !

الكابتن ـ (مثارا) اية تسميات ! انه هذيان ايها الملازم .. اني لا اؤمن بشيء مما تقول ...

جاك ـ وما جدوى الاقرار او النكـران ؟.. سـوف يمـوت هـذا الثائر بين يديك ، ولكن بعد ان تسلبه كل الامتيازات التي تستحقها انت ولكنها مستحيلة في وضعه هو .. ان تعامل بشرف وامانة ، ان تموت كما ترغب في الموت ، ان تحترم فضائلك الغالية ، ان يكـرم الانسان الثاوي في أعماقك ! ولكن مهلا ، الم اقل لك اننا سوف نلتقي ، وهـا نحن الان مع خط واحد ، خطوة اخرى ليس غير وتنكشف امامك الهاوية ولا بد ان تزل بك القدم يا كابتن !.. لا بد ... انه عارنا نحن ... ورجولتنا تلزمنا دائما بحمله .. من يخلصنا ... ؟ عذاب الفـلاحين الجهلة السفاحين ، قتل جنودنا ، الخرائب ، التدمير.. كلا يا كابتـن اليك الفرصة الثمينة ، عذبه ، املأ قلبه رعبا ، دعه ينطوي امامك ، وتأكل احشاءه ديدان الشرف والاستقلال والمثل والفضيلة .. عذبه بايمـان حتى يشعر بان فرنسا عاجزة ، مسحوقة ، مريضة وانها منشبة انيابها في جسده الطري الدسم ، راشفة مناهل دمه ، فجّـر الحقيقة كلـها في وجهه يا كابتـن ، قل له اننا انتهينا

الكابتن ـ (صارخا) هراء ، هراء ... انك تهذي..

جاك ـ (ملتهب العينين] الواقع يا كابتن ، الواقع ..

الكابتن ـ اي واقع في ان نجعل من انفسنا سفاحين، جلادين ؟.. مفرغين من ايما معنى رجولي؟ أي واقع هذا ؟.. ان نميز في تعذيب الرجال ، فنسوق الجموع الى الموت ، ونخشع امام قداسة مثل هـذا الرجل .. ان تتهاوى فضائلنا جميعا ، وتتردى في مواجهته ، اذا كـان هناك من عار فانه واحد ...

جاك ـ (مشيحا بوجهه عنه) العار الواحد خرافة يا كابتن ... هناك النموذج دائما ..

الكابتن ـ هراء ، مرة اخرى ...

جاك ـ ليكن ... ليكن .. دعنا نستقدمه يا كابتن ، وسوف تجـد بنفسك الحقيقة

الكابتن (يهتف من حيث هو) فرنسيس ..

فرنسيس ـ (يتقدم من طرف المسرح ، فيفاجيء الكابتن) نعم يـا سيدي ...

الكابتن ـ ماذا كنت تفعل هنا ؟

فرنسيس ـ (مضطربا) لقد كنت هنا يا سيدي دائما ...

الكابتن ـ أه ..أه دائما اذن .. هيا استدع روجيه والمرأة ...

[يخرج فرنسيس]

الكابتن ـ (مثارا) سوف نرى ، سوف نرى ، ان امتيازاتهم فارغـة . كلهم سواء ، كلهم .. ماذا كنت تقول ؟ النموذج ؟ ماذا في ذلك ؟ هل ستشعرنا اشرطته بالخجل ؟ رجل ممتاز ، ولكن ما هو السبب ؟ ما هـو السبب ؟ اليس لانه اكثر قسوة ؟ اكثر ميلا للقتل ، اكثر حظا من النجاة؟ ان ثقافتنا لا تغنيهم شيئا .. ولكن .. ولكن ربما اودت بهم وجردتهم من هذه البدائية الجامحة التي هي عنوان جدارتهم .. دعنا نرى ابـن حمود في مواجهة التعذيب ... سوف يتلوى ، وتنكبح عواطفه،و يسقط، متهالكا (يمد اصبعه في وجه الملازم) مثل الاخرين ، تماما ... [يخبط الباب] نعم .. ادخل حالا، حالا .

(يدلف من الباب الخارجي بيير ومن خلفه روجيه ، جارا خلفه عـلى مهل ، فتاة عربية ذات وجه طفولي رقيق، ابرز ما فيها عيناها السوداوان الكبيرتان ، يطلقها روجيه بعد ان يقودها الى منتصف المسرح ، تحاول ان تنسحب الى الزاوية فيردها روجيه ، وعندما تكرر ذلك بصورة غير ارادية يحيطها بيير من جانب وروجيه من جانب ، تلتفت مذعورة الـى الخلف والى الجانبين ، ثم تستسلم وتنكس برأسها)

الكابتن ـ هل هي ؟

روجيه ـ نعم يا سدي .. انها هي..

الكابتن ـ الم تحاول النطق بشيء ؟

روجيه ـ كلا يا سيدي ...

الكابتن ـ (يتقدم صوبها) ايتها الابنة اللطيفة ... نحن لا نريـد ايذاءك وصدقيني، لن يمسك واحد بسوء .. افهميني، جيدا ، سـوف تقابلين حالا ابن حمود (ترتجف الفتاة برغم ارادتها) نعم ابـن حمـود انه لا يريد ان يتفوه بشيء ،سوف تقربين منه وتلامسينه تماما .. وبعـد ذلك سوف يقص علينا شيئا ما (تخفي وجهها بين يديها) نحن ندري مدى تعلقه بك ... كوني لطيفة الان وسوف ينتهي كل شيء سريعا ... هيـا، رفعي وجهك ، الا تودين رؤية ابن حمود ؟ ابن حمود كما هو ؟

الفتاة ـ (تهز رأسها بمنة ويسرة ثم في كل اتجاه)

الكابتن ـ ماذا ؟ لا تريدين ؟

جاك ـ الا تريدين ان تري ابن حمود ؟ اخاك البطل ..

الفتاة ـ (تدور على نفسها وتصبح الان في مواجهة الجمهور)

جاك ـ (يذهب الى جنبها) سوف تجعلينه يقول شيئا .. هه ..

الفتاة (تهمهم باصوات غير مفهومة)

جاك ـ (يقترب منها) يا صديقتي الصغيرة ، قد لا يكون مرآه لطيفا، ولكن ، ولكن ستخففين عنه ..

الفتاة ـ (تحاول الافلات منه فتصطدم بروجيه الذي يمسك ذراعيها باقل ما يمكنه من الشدة)

جاك ـ (يلاحقها) سوف نجعله يتكلم يا صغيرتي ، رويدا ، رويدا ، (يلتفت الى فرنسيس الواقف قرب الباب الخارجي) اخرجه .. اخرجه كما هو ...

(بيير وفرنسيس يفتحان باب غرفة التعذيب ، ويغيبان قليلا ، ثم يعودان حاملين ابن حمود حملا من تحت ابطيه ، يتقدم الكابتن فيسوق الفتاة من حيث هي ويرميها فجأة في وجه الاسير)

الفتاة ـ (تتسمر لحظة ، ثم تقفز بحركة مفاجئة ، وتحوط رأس الاسير بذراعيها ، وتروح تمسح على شعره ، وتتفحص وجهه المتعب ثم تفتح عينيه المطبقتين)

ابن حمود ـ (وهو في غيبوبة) .. لن اقو...ل ... لن اقو..ل

الفتاة ـ (تعانق الاسير ، وتلثمه حيثما تقع شفتاها على وجهه وهي تخرج اصواتا غير واضحة)

ابن حمود ـ (منتبها شيئا فشيئا) .. أ...ه .. نسيمة ..

الكابتن ـ ابعدها الان !

(يدفع فرنسيس الفتاة عنبا ، فيتقدم جاك ويخلص ذراعيها)

جاك ـ اهدئي يا بنية ! (يسوقها بعيدا ، ويطلقها ، فتحاول الاندفاع الى الاسير من جديد) أه ، ولكن اهدئي ! (يصفعها فجأة وبقوة على وجهها) يحسن بك ان تفعلي...

ابن حمود ـ (صارخا بصوت ما يزال واهنا من التعب) كلا ، ايها الملازم ، ايها الملازم ..

جاك ـ (يمشي اليه) ابن حمود .. انك وجها لوجه مع اعتى جلاديكم ، ابن حمود ، سوف تتضرع الي ان اكف ... (يتوقف في مواجهته ويحمل شعره بكفه ثم يشده الى اعلى) تطلع في يا ابن حمود ، جد ما اذا كنت قادرا على اثارة ضغينتي .. انها هنا ، لتشرف عليك ، حتى اخر نفس..

ابن حمود ـ كلا ، ايها الملازم...

جاك ـ ماذا ؟ ماذا بالمقابل ؟

ابن حمود ـ (يلوي وجهه محاولا التخلص من قبضة الملازم التي تشد رأسه) الم تر ... الم تر . .

جاك ـ (مثبتا راسه فترة) ماذا ؟

ابن حمود ـ الم تر .. (تنفجر الدموع من عينيه) انها بكماء ... بكماء.. (يختنق صوته)

جاك ـ مذ عطلت لسانها يا ابن حمود ... مرة ..

ابن حمود ـ ... اطلقوها .. اطلقوها !!

جاك ـ كيف ، الا يشوقك ان ترى ضحيتك ماثلة امام اعدائك ؟ كيف .. هل اطلقتها انت ؟ افعل الان (يطلق شعره) من هو اكثر قسوة يا ابن حمود ؟ جلادو فرقة المظلات ... ام فلاحوك .. ام انت ؟..

ابن حمود ـ لماذا ، لماذا ؟ جربوا في ، في انا ؟ لماذا الصغيرة ؟.

جاك ـ اتريد ان تلعب اذن ...

ابن حمود ـ اختاه ... نسيمة ، تشجعي ..

نسيمة ـ (تهز رأسها في ايمان)

ابن حمود ـ سوف تلتاعين يا اختاه ...

نسيمة ـ (تهز رأسها باصرار)

ابن حمود ـ اني اصدقك ، نسيمة ، لم اعد احسن ... لقد هتكوا مواطن الالم .. نسيمة غفرانك .. اشيحي بوجهك .. تسمعي الي ، نسيمة ان مصير الالاف من مواطنيك معلق على كلمة منك ، لا تصرخي من اجلي ، اختاه ...

(يقفز جاك صوبه ، ويلطمه بجمع كفه على وجهه ، مرة اثر مرة اثر مرة)

جاك تشجعي اختاه، سوف تخوضين الى الشجاعة بحرا من الالم، اختاه .. (يرفسه في بطنه ، فتخرج من الضحية صرخة ملتاعة وتنهار الفتاة فجأة على ركبتيها) تشجعي ايتها الصغيرة ، لم تري بعد ما نخبيء لك ، الن تتكلم ؟ ابن حمود !.. ابن حمود وفر على الصغيرة لذعة اخرى واخرى واخرى ...

ابن حمود ـ (من بين اسنانه المشدودة) نسيمة ، لا تتطلعي يا اختاه..

جاك ـ اسحبوه الى الداخل

(فرنسيس وروجيه وبيير يجرون الضحية الى داخل غرفة التعذيب)

الكابتن ـ سوف اتعهده ، ابق البكماء على مقربة (يلحق بهم)

جاك ـ (يذهب الى الباب الخارجي ، ويعود بجنديين) احملا هذه (الى الفتاة) واجعلاها تنظر الى الداخل (يصرخ) يا كابتن ...

الكابتن ـ (من الداخل) ماذا ؟

جاك ـ ارجوك يا كابتن ، واحدة ، واحدة ..

الكابتن ـ (مقهقها) دع اذنيك تلتقطها ، جرب هذه ... هيا ..

(ترتفع انات الضحية متلاحقة ، مكتومة ، منفجرة ، تنطفيء احيانا قبل ان تبلغ المسرح ، وترتفع احيانا اخرى ، الجنديان يشدان الفتاة عند باب الغرفة المفتوح ويقسرانها على التطلع صوب الداخل)

جاك ـ انك تسرع يا كابتن .. اليس هذا وخز الابر ؟. .

الكابتن ـ كيف ، كيف ...

جاك ـ (يروح ويجيء في الغرفة) امسك عليه حساسيته ، يا كابتن انك تسرع ، اجعله يتصاعد قليلا ... قليلا .. .

الكابتن ـ هيا ، ايها الملازم ، انك تغيظني ..

(الفتاة تحاول التملص عبثا ، فتشرع هي في الصراخ بدورها مرغمة ، تلوي رأسها ، فيشدها الجندي من شعرها ويرغمها على تثبيت وجهها في اتجاه الداخل)

جاك ـ اه الملقاط ، ولكن لماذا ؟ انك تتنش لحمه يا كابتن ...

الفتاة ـ (صارخة في جنون)

جاك ـ اسرع الان ، يا كابتن ..

الكابتن ـ تمهل ، اننا نجرده ..

جاك ـ اه .. انك تورثني الخجل ...

الكابتن ـ (ضاحكا) لن تجد فيه هذه الصغيرة شيئا جديدا ، فقد افرغا من بطن واحد ، والان ، أتود ايها الملازم ان نبدأ من اعلى ام من اسفل ...

جاك ـ (يلوح بذراعه) اشرح للصغيرة ...

الكابتن ـ ايها الملازم ، الا ترى اني لا اريد القيام بالمهمتين معا ؟

جاك ـ حسنا ، سوف افعل بنفسي (يقترب من الفتاة ويهمس في اذنها ، تتلوى الصغيرة مع كل كلمة) .. والان اعيدها كرة اخرى ، سوف نبدأ بالتيار فيما بين الاصابع ووراء الاذنين ، ثم يسقط التيار قليلا ... قليلا .. استميحك العذر يا صغيرتي ، ان ابن حمود صيد ثمين ، سوف نرغمه بالتأكيد ، انتبهي يا صغيرتي (الى الجنديين) ارفعا رأسها ايها الغبيان ... سترين فوق ما تطيق عيناك الحلوتان النديتان ، امسحا دموعها ايها الخبيثان ، اجعلا سواد العينين براقا ، مصفى . وبعد .. يا صغيرتي ، سوف تعمر معدته بالماء المجمع من فضلات الاستعمال ، يا صغيرتي ، مهلا ...

(تسقط الفتاة بين ذراعي الجنديين متلاشية)

جاك ـ وفره الان يا كابتن ... لقد تلاشت الصغيرة (يجر الجنديان الفتاة الى مقعد يسنده الملازم الى المكتب ، ويحطان جسدها المهمل عليه)

انعشها ايها الغبي ، هيا ...

(يعود الكابتن ، ومن خلفه روجيه ، وبيير وفرنسيس)

الكابتن ـ (يعالج الفتاة بزجاجة صغيرة في يده يمررها تحت انفها، فستيقظ تدريجيا) انتبهي يا صغيرتي ، ما .. ما هذا ؟ سوف نعالجين مرارا اذن ... ولكن لماذا ؟

(يظهر ابن حمود ، عند الباب ، عاريا الا من سرواله التحتي ، مترنحا ، مجنونا من الالم ، يستند بيديه جميعا على طرف الجدار ، ثم يتقدم ، متهاويا ، بحيث تلوح للنظارة في الصفوف الامامية مواضع النتش في جسده محمره ملتهبة ، تبصره الفتاة دون الجميع المحيطين بها الغافلين عن الاسير ، تمد ذراعيها المرتجفتين في حركة عفوية متضرعة ، وفي اللحظة التي تفشل فيها بالنهوض ، يسقط ابن حمود عند قدميها ، ويلفهما بذراعيه)

ابن حمود ـ نسيـ..مة .. نسيـ..مة ..

(يفاجأ الجلادون ، فيمسكون عن الحراك فترة ، حتى تخمد حركة الضحية عند قدمي اخته ، تنحني هذه فوق راس اخيها ، ثم تسقط جسدها بحركة يائسة جنبه ، وتغمر رأسه بذراعيها ، كأنما تحول بين الجلادين وبينه ..)

جاك ـ (منتبها وفي سخرية جافة) اي مشهد ..؟

الكابتن ـ (يهز راسه) تلك الصبية .. تلك الصبية ...

جاك ـ (يرفسهما برجله) ثبته على العارضة ، ولتنتظر برهة ..

(ينفذ روجيه وبيير وفرنسيس اوامر الملازم ، فيسحبون الاسير الى داخل غرفة التعذيب)

جاك ـ (يرفع الفتاة الى المقعد ثانية) ايها الصغيرة ...

نسيمة ـ (تسد اذنيها بكفيها)

جاك ـ ابتها الصغيرة .. مري ابن حمود ان يفعل شيئا ...

نسيمة (تخبيء راسها في صدرها) ..

جاك ـ (في صوت متعب) ايتها الصغيرة اني انذرك ..

نسيمة ـ (تقفز فجاة ، وتروح تلطمه بذراعيها وكفيها على صدره ، وهي تعول وتخرج اصواتا منغمة غير مفهومة)

جاك ـ حسنا ... افرغي غضبك يا صغيرتي ... هيا ..

(تتوقف يائسة عن الضرب ، وتتطلع بعينين زائغتين ، ملتهبتين الى الكابتن حينا والى الملازم حينا اخر ، ثم تسقط عند قدمي الملازم وتوميء له في حركات متضرعة)

جاك ـ كلا .. اوه ... كلا يا صغيرتي ، ان كلماتك لا تعبر جدر الفولاذ اني محصن ضد الشفقة ،اتدرين يا صغيرتي ، كان لي قلب ذهبي .. مفطور على الشفقة .. ولكنه (يفرقع اصابعه) كما ترين ... فر يا صغيرتي ، فر !..

الكابتن ـ (يشيح بوجهه) دعها ، من اجل المسيح.. جاك

جاك ـ (غير منتبه) ابدأ الان ، ان صوبين عربيين يصدران معا ... واحد من تحت قدمك ، وواحد من تحت قدمي.. يهزان الجدر الكئيبة الغليظة ، يسقطان الشفقة في صدري من جديد ، يعيدان الي هذا القلب الغار ... (بدور الالات ، والانات المعذبة في الداخل). هكذا اجرف الغضب من صدره يا روجيه ، دعه يصمد كما يصمد الفلاحون ... اجعله ينفجر غيظا ضد القتل (يصرخ) ... ابن حمود ، اين هي نماذجك الباسلة ، الا تفوقك الصغيرة بأسا وتمردا ؟ ابن حمود سوف نجعلها تواجه الرعب بعد قليل ، ولكنك صامد ايها الفتى، شامخ كجبال بلادك ، لقد انحت لهم الوقت كيما ينسفوا خططك فلم تعد نافعا لنا ، ابن حمود يجب ان تسقط ... يجب ان تسقط (في لهجة هستيرية) يجب ان تسقط ... (هامسا لنفسه ، مصر على اسنانه) كيما يسقط عنا العار يا ابن حمود ..

الكابتن ـ (يصرخ) توقف ، حالا (يهرع الى الباب) انك تقتله ايها الغبي..

جاك ـ (يتملص من ذراعي الفتاة) ماذا ؟

(يغيب الكابتن في غرفة التعذيب ، ثم يعود بعد فترة)

جاك ـ (ملحا) ماذا ؟. .

الكابتن ـ (لنفسه) ادري ، ادري هذا الشيء ..

جاك ـ يا كابتن ؟

الكابتن ـ (يلتفت) جاك ! لتتوقف ..

جاك ـ اي شيء هذا ..

الكابتن ـ انه لا يقاوم ..

جاك ـ واذن ؟

الكابتن ـ يترك نفسه للموت ، الا تلاحظ شيئا ؟

جاك ـ تعني ...

الكابتن ـ (محتدا) اعني .. ولكنه لا يعاند ، ولا يكبح نفسه ، انه يستدعي الموت .. لقد غشى وجهه اليأس ، جاك اتراهم يستطيعون استدعاء الموت هكذا ؟ .

جاك ـ هراء ، .انها خدعة ! .

الكابتن ـ انظر اليه ، لماذا لا تفعل ؟

جاك ـ ولكن كيف ، ونحن لما نبدأ ؟..

الكابتن ـ بسببها .. (يشير الى الفتاة) ولكن .

هل قرأت

ديواني الشاعرتين الكبيرتين

نازك الملائكة وفدوى طوقان ؟

قرارة الموجة

وجدتهـا

اطلبهما من

دار الآداب

جاك ـ ليس في وسعنا التراجع يا كابتن ، وكذلك ليس من حقنا ان نختار ... ابن حمود فائد في هذه الثورة ... ان فرنسا تريده ، فرنسا وليس انت او انا ... يجب ان تستخدم الصغيرة الان تحت ابصاره [فترة صمت ثقيلة]

الكابتن ـ ان ذلك جديد علي ، جديد...

جاك ـ اترهبه ؟..

الكابتن ـ ليس الا نوعا ، صنفا ، ادري ، ولكني مأخوذ بعض الشيء.. ترى انستحق فضيلة الوطنية كل هذا ... كل هذا ..

جاك ـ كل هذا العار ؟..

الكابتن ـ نعم .

جاك ـ في رأيي ، اننا لا نضع الفضائل في مرتباتها مواجهة ، او مداورة .. في رأيي ان فرنسا يجب ان تنتصر ... لمصلحة من ؟ ربما كان ذلك لمصلحة الحضارة ، ربما لمصلحة كل الفضائل العظيمة التي انضجتها اوربا خلال القرون ، ربما كان هذا زائفا .. النصر ... النصر ايها الكابتن ... هو الحقيقة الوحيدة ..

الكابتن ـ (مغمغما) اي نصر ؟

جاك ـ لا تستمع اليه .. يجب ان يصمت هذا الصوت في داخلنا... مؤقتا على الاقل ...

الكابتن ـ وما نفع هذه الاشكال الخارجية اذن ؟ قل لي ما نفعها ؟

جاك ـ (بهز كتفه) وما يدريني ؟. في مثل هذه اللحظات يخيل الي ان كل شيء حقيقي لم يعد كذلك .. ان الاصطلاحات غير مجدية في مواجهة الموت ، اننا نؤكد وجودنا ، يجب ان تستمر فرنسا ، سواء اكان ذلك وهي ممتطية حصانا خشبيا ، او مزنرة بحزام الكهنة ! ان العالم كله بحاجة الينا ، من اجل فنوننا ، من اجل عهرنا ، من اجل خفتنا ، من اجل موقعنا في اوروبا ، لست ادري.

الكابتن ـ (في نبرة موجعة)اية وسيلة ؟

جاك ـ (ساخرا) الوسيلة ؟ لماذا يكون الموت اشرف من التعذيب ، وبخاصة اذا وفرت الحياة في النهاية .. قل يا كابتن .. ماذا يهم ؟ ان تستمر الحياة او ان تسقط في حمأة اصطلاحاتنا السخيفة ، ماذا سوف يصيب الصغيرة ، ربما تروع ... ولكن الجرح سيلتئم .. قد يهدمها العار .. ولكنها تستمر برغمه ... وربما انبثق العزاء من خلال الندبة الميتة .. ليس اكثر من اتلاف بعض الاغشية فلماذا نهول الفعل؟ (فترة) لماذا تقاوم يا كابتن ؟ ان كلمات عادية يطرحها ابن حمود وهي تشبه ملايين الكلمات التي تطرح عبثا خارج الفم ـ قد توفر عشرات ، مئات بل عشرات الالوف من الارواح الحقيقية ، شيئا من الشجاعة يا كابتن ليس اكثر ...

الكابتن ـ (متخلصا) ليكن ، ليكن ! (صارخا فجأة) ليكن ... اعدوا الذبيحة .

[ينطلق جاك الى الداخل ، وتجري الحوادث فيما بعد في صمت كامل ، بسوق روجيه وفرنسيس الفتاة الى داخل غرفة التعذيب ويتبعهما بيير صامتا ، الكابتن يروح ويجيء في الغرفة متململا ، يخفق الارض بحذائه ، يجرب القعود وراء طاولته ، ثم ينفجر في حركات عصبية طائشة وهود يردد في صوت مخنوق هذه الكلمات « ما هذا .. ما هذا ؟.. اي شيء هذا ؟ » . تضعف انوار المسرح تدريجيا ، ويوصد باب غرفة التعذيب ، ولا يبقى الا الكابتن على المسرح، تنبثق صرخة حادة مفاجئة من الداخل ، وتسقط العتمة مع الثواني حتى بفرق المسرح في ظلام كامل ، وينطفيء كل شيء ... المشهد والاشخاص والاصوات. تمضي الدقاق ثقيلة، والمسرح مظلم ، ثم تعود الانوار ، فتكشف جوانب المسرح بصورة متدرجة ويلوح شبح الكابتن متوسدا ذراعيه خلف الطاولة كأنه غارق في السبات ، عندما يكتمل النور يفتح باب غرفة التعذيب ، ويتسلل منه الملازم ، يتقدم الى منتصف المسرح منتفضا بين لحظة واخرى كأنما بطرح عن جسده عبئا حقيقيا ولكنه غير منظور]

الكابتن ـ (دون ان يرفع راسه) اين نحن من النهار ؟

جاك ـ اين ؟ ربما في العصر، كلا.. [يكف فجاة كمن خطرت له سانحة]

الكابتن ـ لماذا انا متعب اذن ؟

جاك ـ هل انت متعب ؟

الكابتن ـ قليلا .. قليلا جدا .. ولكنه عميق ..

جاك ـ من ؟

الكابتن ـ التعب ، كأنما هو مخدر ...

(فتـرة)

الكابتن ـ ما رأيك في شيء من الخمر ؟

جاك ـ الخمر .. نعم .. هنا ؟

الكابتن ـ ما الفرق ؟ في مكان اخر

جاك ـ هل تعني ...

الكابتن ـ نعم.. نعم.. يجب ان نذهب (في نغمة خاصة) من هنا ..

جاك ـ (تكتسحه انتفاضات متتالية ، سريعة) لنمش ...

الكابتن ـ (دون ان يتحرك) لنمش ...

(فتـرة)

صدر حديثا

الخندق العميق

رواية

بقلم الدكتور سهيل ادريس

قصة اسرة تسجل صراع جيلين في لبنان

دار الاداب ـ بيروت

الكابتن ـ يجب ان نعد تقريرا للكولونيل ..

جاك ـ اتظن ؟

الكابتن ـ نعـم

جاك ـ يا كابتن ....

الكابتن ـ (يرفع رأسه) ايهما ...

جاك ـ ... الصغيرة

الكابتن ـ حسنا ، انها الصغيرة اذن ...

جاك ـ انها الصغيرة (مترددا) لقد شهقت ..

الكابتن ـ فورا !

جاك ـ فورا ...

(فتـرة)

جاك ـ ... لقد راقبها بعينين مفتوحتين ، لقد مضغ جزءا من شفته.

الكابتن ـ وبعد ؟ ..

جاك ـ لقد استدعت الموت .. خيل الي.. خيل الي ..

الكابتن ـ نعم ما هو ؟

جاك ـ ان شيئا ما قد طق في صدرها ..

الكابتن ـ ربما انفجر قلبها..

جاك ـ قلبها ... كلا .. فوق .. لم تخرج الا شهقة واحدة .. لقد ماتت حنجرتها اولا ، ان جسدها ما يزال ساخنا ..

الكابتن ـ (ينهض) لنمش من هنا (ينقل خطوته في اتجاه الباب) ولكن (يعود)

جاك ـ الى اين ؟!

الكابتن ـ (يتوقف فجأة عند باب غرفة التعذيب) .. الظل الكريـه ايها الملازم ... ولكن ما اريد ان افعله يحررنا .. الا تذكر .. الا تذكر كلماتك !!

جاك ـ دعه يا كابتن .. ربما كان ناقصا

الكابتن ـ (ساخرا)وماذا عن الظل ؟

جاك ـ (محتجا في لهجة متعبة) يا كابتن ...

الكابتن ـ (بنفس اللهجة الساخرة) الظل ايها الملازم ... آه ... انتظـر .. شيء اخر، الشفقة ايها الازم ، يلزمك قلبك الفارّ ... من اجل متعة المساء على الاقل ايها الملازم ، نحن نزحف في اتجاه النـصر .. الديدان تزحف ايضا ايها الملازم ، ها.ها..ها.. الديدان .. ماذا عن الحصان الخشبي (يصرخ فجأة) لقد انتهى دور ابن حمود ايهـا الملازم .. انه لم يعد شيئا ، لم يعد رجلا ... هل انت سامع ... عندما تصير الله ، يكون من حقك حينئذ ... حينئذ فقط ان تجعلـه يستمر مفرغا كاناء مثقوب (يعلو هياجه)لقد افرغته ايها الملازم ... اطرحه اذن الى الديدان ... اتريد ان تعرف اشياء مبتكرة عن الرجل ... التفسخ والنتانة والانسلاخ في غمرة الحركة المهملة العمياء للحياة ... تسل به اذن ! دع آلاتك تطمعه ، عينان فقط ، متحركتان ، شـفتان متقلصتان ، ارجل مهملة تستطيع ان تجري في اي اتجاه ، ولكنه لا اتجاه له ، قلب مطاطيء ، ايها الملازم ... ايها الملازم .. ان الله خجل من نفسه في مواجهتنا ، الا ترى كيف تتعرى الحياة ، الحياة التي يكرس نفسه لدفعها منذ الاف السنين ، فتصبح تراجعا ، ما هو ... ما هو (يحملق في الاشياء من حوله مستغربا مستحييا) شيء من الاشـياء.. لقد طق صدرها ... ولكن صدره هو ... قفص صخري ، من خلفـه !القلب والرئتان .. اي قلب ! انه لا يريد ان يكف من اجلنا ، يمكننـي ان انقر عليه الساعة هل تراهنني ايها الملازم ؟ فسوف يرجع الصدى ... كما ترجع مغارة صدى صوتي ... صوتي انا (يقرع صدره بكلتا قبضتيه) .. القفص الصخري .. اسمع... اليك الصدى نفسه... لقد ماتت شجاعة القلب وفضائله في عيني انا .. انا ... انا .

الملازم ـ (متضرعا) يا كابتن .. ارجوك ، يا كابتن ..

الكابتن ـ دعني ، دعني ، سوف اوغل فيه قدرتي ، آلاتي انا، تفوقي ... سوف اميته ، اميته ، اميته حتى النهاية .. كيف يجوز ان يخجل الله امامي ؟ ما معنى ان يستمر انسان ، بدون شجاعة ، بدون نـذالة بدون فرح ، بدون امل ، ما معنى ان تقتله ويستمر ؟ ما معنى ان تتحرك خيالات ، اشكال مرتدة فوق ارض حقيقية ... (يصرخ) ايها الملازم ... انها بالنسبة لي ارض البشر الحقيقيين ، لا يمكنني ان اعيش جنب رجل مقتول ، متحرك ، جنب رجل مسروق كل ما يملك في داخله من معنى، جنب رجل باق باجهزته فقط ...

(يندفع الى الداخل ، وهو يصرخ في وحشية .. وبوصد البـاب خلفـه)

الملازم ـ (مسمرا) اي شيء هذا ؟ رجل باجهزة ... (يخبط رأسه) اني مأخوذ بشيء ما .. هل هذا حقيقي ؟ آه .. آه .. رجل بأجهزة فقط، رجل بأجهزة .. (يدور في الغرفة ، متلويا ، متهدما ، ويسقط ستار الفصل الثاني ، والصخب يرتفع اكثر من داخل غرفة التعذيب)

اللاذقية — مصطفى الحلاج

ـ التتمة في العدد القـادم ـ

صدر حديثا

ديـوان الموسم

ساق على الدانوب

(شـعر)

للشاعر هلال ناجي